

سوء معاملة وإهمال أطفال الكتاتيب القرآنية التقليدية (الخلاوي) بشمالي نيجيريا وأثرهما على الطفل والمجتمع

Abasement and negligence of children of traditional Quranic schools (Al-Khilawi) in Northern Nigeria and their impact on children and society.

جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم ودمدني - ولاية الجزيرة / السودان	أستاذ علم المكتبات والمعلومات	محمد ناصر داؤد صالح جودات nassco5@yahoo.com
DOI :		

الإرسال: 2022/03/30 القبول: 2022/05/17 النشر: 2022/07/01

ملخص:

هدفت هذه الورقة، بعنوان: "سوء معاملة وإهمال أطفال الكتاتيب القرآنية التقليدية (الخلاوي) بشمالي نيجيريا وأثرهما على الطفل والمجتمع"، إلى ضبط مفهوم سوء معاملة الأطفال وإهمالهم ومعرفة أسبابهما وأهم التصنيفات البارزة في بيئة الكتاتيب القرآنية التقليدية (الخلاوي) بشمالي نيجيريا، فتَمَّ في مدخلها التعريف بالكتاتيب القرآنية التقليدية (الخلاوي)، تلا ذلك تحديد ودراسة إبراز مظاهر أنماط سوء معاملة الأطفال بهذه البيئة التعليمية والتربوية وإهمالهم، ورصدت الورقة بعض آثار ذلك على واقع الطفل والمجتمع، مع تقديم سرداً بأبرز إسهامات بعض تجارب المؤسسات الحكومية والمنظمات الخيرية في علاج هذه الظاهرة. وختمت الدراسة بخاتمة جاءت فيها مجموعة من التوصيات، منها: ضرورة رفع الوعي بمفهوم الإهمال وسوء المعاملة لدى أولياء أمور الأطفال وشيوخ الخلاوي والمجتمع، مع الاهتمام بإصلاح بيئة الكتاتيب القرآنية (الخلاوي) وتهئية الظروف المحيطة بالأطفال في بيئتهم التعليمية والتربوية حتى يتمكنوا من استيعاب المعارف والخبرات وتكوين الاتجاهات التعليمية السليمة والسلوك التربوي القويم. الكلمات المفتاحية: الكتاتيب القرآنية (الخلاوي): شمالي نيجيريا؛ مراحل نمو الطفل، سوء معاملة وإهمال الأطفال؛ المنظمات الحكومية والخيرية.

Abstract:

This paper, titled: "Abasement and negligence of Children of Traditional Qur'anic schools (Al- Khilawi) in Northern Nigeria and Their Impact on the Child and Society", aimed to control the concept of child abuse and negligence, their causes and the most prominent classifications in them at the environment of the traditional Qur'anic Katateeb (Al-Khallawi) in Northern Nigeria. In its introduction, the introduction to the traditional Qur'anic Katateeb (Al-Khilawi), This was followed by

the identification and study of highlighting the manifestations of child abuse patterns in this educational environment and their negligence, and the paper monitored some of the effects of this on the reality of the child and society, with an account of the most prominent contributions of some experiences of government institutions and charitable organizations in treating this phenomenon. The study concluded with a conclusion in which came a set of recommendations, including: the need to raise awareness of the concept of negligence and abuse among parents of children, elders of Al-Khalawi and the community, with interest in reforming the environment of Quranic Katateeb (Al-Khalawi) and creating the conditions surrounding children in their education and educational environment so that they can absorb knowledge, experiences, form sound educational trends and correct educational behavior.

Keywords: Quranic Katateeb (Al-Khalawi); Intercellular; Hedged northern Nigeria; Child Growth Levels; child abuse; Neglect of children; Governmental and charitable organizations.

مقدمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. الطُّفُولَةُ، هي: "المرحلة العمرية للطفل من الميلاد إلى البلوغ" (معجم- المعاني-الجامع، 2022)، وقد قسمت من حيث مراحل نمو وتطور الطفل إلى ثلاث مراحل: مرحلة الطفولة المبكرة (من 2 إلى 5 سنوات) (قزازه، 2008، صفحة 129)، وهي مرحلة تربوية قيمة في بالغ الأهمية في أي مجتمع من المجتمعات، وذلك لكونها تعمل على تنظيمها مظاهر نمو مختلفة، منها: الجسمية واللغوية والنفسية والعقلية والاجتماعية والحركية، الأمر الذي يجعل من هذه المرحلة بالغة الحساسية، لأن ما يختبره الطفل خلال السنوات الخمس الأولى من نموه من خبرات سلبية وإيجابية تكون راسخة ويصعب نسيانها ومحوها من ذاكرته، وهي بالتالي تكبت وتسهم في تنمية شخصيته وتحديد سلوكه في المراحل التالية للنمو التي تلي هذه المرحلة، كما تسهم في دفع الطفل إلى التقدم نحو مراحل الطفولة الوسطى والمتأخرة (5 إلى 12 سنوات) (قزازه، 2008، الصفحات 143-150)، ويدفع كثير من الأهالي في شمالي نيجيريا بأطفالهم في هذه المرحلة العمرية تحديداً إلى التعليم في نظام الكتاتيب القرآنية/الخلاوي (مخلق رقم 1)، وهي مرحلة بالغة الأهمية في حياة الأطفال، وذلك لكونها مرحلة لها مطالب خاصة بالنمو الروحي والجسدي والعقلي والإدراكي، وتتكون فيها اتجاهات الطفل السوية نحو ذاته، وترسخ فيها القيم الاجتماعية والسلوكية والميول والاتجاهات عند الأطفال، وتُعد مرحلة تأهيلية تمهيدية لانتقال الطفل من مرحلة الطفولة إلى المراهقة والبلوغ (12 إلى 18 سنة).

ومن المعلوم أن عملية تطور جسم الطفل ونموه في جميع مراحلها تتوقف على ظروف البيئة التي يعيش فيها الطفل، سواء أكانت بيئة طبيعية أو اجتماعية أو تعليمية... أو غيرها، "فالبيئة الصالحة والجيدة تساعد على النمو السليم، في حين أن البيئة الفاسدة تعيق تطور النمو لدى الطفل" (ميلاد، 2015، صفحة 24)، وبالنظر إلى ما يمكن ملاحظته من معاناة معظم أطفال بيئة الكتاتيب القرآنية (الخلاوي) في هذه المرحلة من طفولتهم من سوء معاملة وإهمال، وما يترتب على ذلك من أثر سلبي واضح على الطفل والمجتمع، جاءت هذه الورقة البحثية التي تهدف إلى تسليط الضوء على ظاهرة سوء معاملة أطفال الكتاتيب القرآنية (الخلاوي) وإهمالهم، كواحدة من أهم بينات التربية والتعليم المنتشرة في بلدان إفريقيا جنوب الصحراء بعامة وشمالى دولة نيجيريا بخاصة، وهو موضوع واسع لا يمكن لأي باحث أن يلم به كله ويوفيه حقه، لذا فقد اختار الكاتب أن يتناوله - بإذن الله تعالى - تحت عنوان: "سوء معاملة وإهمال أطفال الكتاتيب القرآنية التقليدية (الخلاوي) بشمالى نيجيريا وأثرهما على الطفل والمجتمع"، وهي دراسة تحاول ضبط مفهوم سوء معاملة الأطفال وإهمالهم ومعرفة أسبابهما وأهم التصنيفات البارزة فيهما في بيئة الكتاتيب القرآنية التقليدية (الخلاوي) بشمالى نيجيريا، فتّم في مدخلها التعريف بالكتاتيب القرآنية التقليدية (الخلاوي)، تلا ذلك تحديد ودراسة إبراز مظاهر أنماط سوء معاملة الأطفال بهذه البيئة التعليمية والتربوية وإهمالهم، ورصدت الورقة بعض آثار ذلك على واقع الطفل والمجتمع، مع تقديم سردًا بأبرز إسهامات بعض تجارب المؤسسات الحكومية والمنظمات الخيرية في علاج هذه الظاهرة، وختمت الدراسة بخاتمة جاءت فيها مجموعة من الملاحق والتوصيات، منها: ضرورة رفع الوعي بمفهوم سوء المعاملة والإهمال لدى أولياء أمور الأطفال وشيوخ الخلاوي والمجتمع، مع الاهتمام بإصلاح بيئة الكتاتيب القرآنية (الخلاوي) وتهئية الظروف المحيطة بالأطفال في بيئتهم التعليمية والتربوية حتى يتمكنوا من استيعاب المعارف والخبرات وتكوين الاتجاهات التعليمية السليمة والسلوك التربوي القويم. راجين أن تحقق الهدف المنشود منها، وأن تحظى بالقبول والاستحسان لدى السادة القراء، وأسأل المولى عز وجل لنا ولكم السداد والتوفيق. وفيما يلي العناصر التي تمت معالجتها في هذه الورقة:

المـدخـل: قراءة في ذاكرة الكتاتيب القرآنية التقليدية (الخلاوي) بشمالى نيجيريا.
العنصر الأول: أنماط سوء معاملة أطفال الكتاتيب القرآنية التقليدية (الخلاوي)

وإهمالهم بشمالي نيجيريا.

العنصر الثاني: أثر سوء معاملة أطفال الكتابات القرآنية التقليدية (الخلاوي) وإهمالهم

على الطفل والمجتمع بشمالي نيجيريا.

العنصر الثالث: إسهامات بعض تجارب المنظمات الحكومية والطوعية الخيرية في

علاج أنماط سوء معاملة وإهمال أطفال الكتابات القرآنية التقليدية

(الخلاوي) بشمالي نيجيريا.

العنصر الرابع: خاتمة الدراسة التوصيات والملاحق).

المدخل: قراءة في ذاكرة الكتابات القرآنية التقليدية (الخلاوي) بشمالي نيجيريا:

عرف إقليم إفريقيا الجناح الغربي جنوب الصحراء الإسلام في عقده الرابع، ويذكر بعض المؤرخين "أن عقبة بن نافع الفهري بعد أن نزل بغدامس سنة 46هـ أراد أن يوغل جنوباً، فاستخلف على جيشه زهير بن قيس البلوي، ثم سار بنفسه مع أربعمئة فارس وأربعمئة بعير وثمانمئة قربة ماء حتى قدم ودان وفتحها، ثم واصل زحفه جنوباً فاستولى على مدينة فزان، ومضى جنوباً حتى أتى على قصور كوار فافتتحها إلى أقصاها (أبو بكر ع.، 1972، صفحة 45)، (Barth, 2010, p. 580)، وأقاصي كوار هي جنوبي بحيرة تشاد الحالية. ولما كان التعليم مقصداً أساسياً من مقاصد الشريعة، وعليه تدور مقاصدها الأخرى الساعية لتوطيد دعائم التنمية البشرية المستدامة التي تقوم بالأساس على استهداف الروح والعقل والنفس البشرية وتوجيهها. بشكل إيجابي. نحو العلم النافع، انتشرت المؤسسات التعليمية الإسلامية، ومنها الكتابات (الخلاوي) في المنطقة (سالو و لوالي، 2013)، والتي لها "أسماء مختلفة تحمل نفس الدلالة بلغات الشعوب الإسلامية بإفريقيا الجناح الغربي جنوب الصحراء، منها: "مَكْرَنْتَا اللُّو" بلغة الهوسا، "دُوْدَال" (بلغة الزرما/الصنغا)، و"ظَنْغَا" Tsangayas (بلغة الكانوري)، وهي تهدف في المقام الأول إلى ربط الطفل بكتاب الله قولاً وفعلاً، ونشر العلم ومحو الأمية من أجل بناء مجتمع سليم ومعافى ومسلح بالأخلاق الإسلامية والعلم والإيمان بالله.

فعملت على ترسيخ هذا المبدأ ممالك وإمارات إسلامية تولت الدعوة الناعمة إلى الإسلام إنتشاراً وتجديداً في أدغال غرب إفريقيا، وكان في مقدمتها دولة غانة التي أسست في القرن الأول الهجري، وقد وصفها أبو عبيد البكري بـ "أن تراجمة الملك وصاحب بيت ماله وأكثر وزرائه ومن يتولون إدارة دواوينه كلهم من المسلمين لأنهم وحدهم الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة [بالعربية]" (طرخان، 1970، صفحة 45). والثابت المدون أن لهذه

الممالك والإمارات الإسلامية أدوارًا رائدة وكبيرة في وقف المؤسسات التعليمية من كتاتيب/خلاوي، وقصور سلاطين وبيوت علماء وزوايا ومساجد... ومقومات التعليم من علماء وكتب ومكتبات، وليس في المجال متسع لذكر أدوار هذه الممالك في النهضة التعليمية وبناء مؤسساتها وتوفير مقوماتها في مجتمع المنطقة، ولكن ما يجدر الإشارة إليه إن معظم المراجع التي بين أيدينا تشير إلى أن الإسلام لم يتسرب من شمال القارة الإفريقية إلى غربها تسرب السلعة التجارية، وإنما تسرب بواسطة جسور، وهذه الجسور هي الدول الإسلامية التي قامت في المنطقة المجاورة لبحيرة تشاد، وفي منطقة منحى نهر النيجر، وهما منطقتان تمر بهما أهم طرق القوافل المتجهة إلى نيجيريا الحالية وبالتحديد شمالي نيجيريا (غلادني، 1993، الصفحات 13-63)، و(أوبكر ع.، 1972، صفحة 45).

إلا أننا سوف نتطرق بشيء من التفصيل لقراءة تاريخية عن مؤسسة الكتاب القرآنية (الخلوة/المسيح) موضوع حديثنا، فالمسيح/المسيد يقوم مقام المسجد في القرى الصغيرة ومنازل البدو ومضاربهم، وفي حارات المدن الكبيرة، ويمثل المؤسسة التعليمية الابتدائية في التعليم الإسلامي، وفيه يلقي الشيوخ الأهالي (كبارًا وصغارًا) حفظ القرآن الكريم ومبادئ علوم العبادات والتوحيد وقواعد اللغة العربية (أيوب، 2001، صفحة 113). وكان يرتب لتلاميذ ومعلمي هذه المرحلة "أرزاقًا وأعطيةً من ريع الأوقاف وأموال الصدقات من أملاك الحكام والمحسنين ... مع إعانة نصف السنة التي يوزعها القاضي نيابة عن السلاطين على مستحقيها، وتتألف من كمية من الزيت والحبوب والشمع والبخور والحيوانات ... وغيرها" (السعدي، 1981، صفحة 58)، وقد ذكر البكري "أن بغانة مدينتين كبيرتين إحداهما: يسكنها المسلمون وبها اثنا عشر مسجدًا، أحدها يُجمعون فيه، ولها الأئمة والمؤذنون، وفيها فقهاء وحملة علم، وثانيهما: وثنية يسكنها الملك وفيها مسجد يصلي فيه من يفد عليه من المسلمين على مقربة من مجلسه" (طرخان، 1970، صفحة 44)، وقوله: "يُجمعون فيه" أي يصلون فيه صلاة الجمعة، مما يعني أن بقية المساجد الأحد عشر كانت عبارة عن كتاتيب/خلاوي وليس مساجد جامعة.

وطلبة العلم بعد إكمال هذه المرحلة يتوجهون للمساجد الجامعة والزوايا¹ من أجل إكمال دراساتهم العليا، ومن أشهر هذه الزوايا في غربي إفريقيا، زاوية كنتا البكائية التي أسسها الشيخ المختار الكنتي في منطقة تنمبكتو وغاو في القرنين (12-13هـ) (ميغا، 2005، صفحة 167)، وقال الشنقيطي عن أهل الزوايا إنه "لا يوجد من بينهم ذكر ولا أنثى لا يقرأ ولا يكتب، وإن وجد في قبيلة غير ذلك فإنه نادر بحيث لا يوجد في المائة إلا واحد على تقدير وجوده" (الشنقيطي، 1958، صفحة 517). ولما توجه ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري إلى دولة ملّ (مالي)، وجد أن أهلها في كتاتيبهم. إذا رأوا تقصيراً من أبنائهم في حفظ القرآن جعلوا عليهم قيوداً لا تفك عنهم حتى يحفظوه. وقد ذكر الشنقيطي أن "عدد مدارس الصبيان في بداية دخول المغاربة إلى إفريقيا كانت تتراوح ما بين مائة وخمسين، ومائة وثمانين مكتباً ... وأن عدد الألواح بالكتاب الذي زاره مائة وثلاثة وعشرون لوحاً ... وأن أولياء الأمور كانوا يدفعون حق الأربعاء، وهي رسوم للدراسة غير محددة يدفعونها للمعلم حسب استطاعتهم ... وحصل المعلم في ذلك اليوم على 1,725 ودعة" (الشنقيطي، 1958، صفحة 519).

وظلت الخلوة/الكتاب تحافظ على رسالتها وأهدافها التي من أهمها التركيز على تنشئة الطفل وتربيته وتعليمه على مر العصور منذ بزوغ فجر الإسلام في شمالي نيجيريا إلى يومنا هذا بدون منافسة تذكر من أي مؤسسة تعليمية أخرى، وذلك على الرغم من ظهور التعليم الحديث (المدارس النظامية) الذي ارتبط بفوائد مادية دنيوية ملموسة، ويرجع السبب في استمرارية هذا النوع من الأنظمة التربوية والتعليمية بالمنطقة (أوبوكر ي، 2010، الصفحات 201-221)، إلى:

1. أن المدارس الحديثة ارتبطت ارتباطاً مباشراً بالمستعمر النصراني والتبشير المسيحي والحرف اللاتيني (الفرنسي/الإنجليزي)، وقامت هذه المدارس على مفاهيم وأخلاقيات لا علاقة لها ببيئة مجتمع المنطقة وعقيدتها الإسلامية، وهذا ما رفضته المجتمعات المسلمة في المنطقة حفاظاً على عقديتها وتراثها الإسلامي.
2. المسلمون في شمالي نيجيريا ينظرون إلى التعليم المعاصر بعين الريبة، لأنهم يرونه شبكة صيد حاكها المستعمر لاصطياد أبنائهم للنصرانية، مع وجود الحافز الديني الذي يدفع الآباء إلى إدخال أبنائهم في المدارس القرآنية

(الخلاوي)، واستمرار حافز الحصول على منصب من مناصب الدولة التقليدية كالقضاء والوزارة والإمامة والكتابة وكسب الاحترام والوجاهة في المجتمع الذي ينظر إلى حافظ القرآن الكريم بكل وجل واحترام وتقدير (أوبكر ع.، 1972، الصفحات 218-219).

3. أثرت الأسرة والمجتمع على استمرار وبقاء الكتاب/الخلوة على مر العصور، فالأسرة ترى أن المسيد/المسيح خير من يرعى أبناءها ويصلح حالهم ويرفع جهلهم ويزيد علمهم، أما المجتمع فهو الذي يقوم بدور الراعي للكتاب/الخلوة، فيوفر لها الظروف الملائمة لأداء رسالتها من مؤنة وكساء ومأوى ... لشيخها وطلابها، ويدعم وجودها ويقدر ويجل القائمين عليها (الشيخ)، فقد "يصبح شيخ الكتاب/الخلوة في الصباح ويجد شاحنة قد فرغت الذرة أو الدخن في الليل في فناء الكتاب/الخلوة، وهم لا يدرون من أتى بها؟ ومن أين أتت؟ ومتى أتت؟" (أوبكر ع.، 2017).

4. يعتبر معظم شيوخ الخلاوي أن عملهم عملاً دينياً خالصاً، ولا يرجون منه سوى الأجر وشيوع الخير، عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم "خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ" (البخاري، 2000، رقم الحديث: 5027)، فهو بذلك يسبل عمله كمسؤول عن الخلوة، ويرجو فائدته في دينه وآخرته، ولا يعتبر وظيفته مهنة ينبغي أن يتقاضى عليها أجراً مادياً دنيوياً، ويرى أهالي المجتمع في الكتاب/الخلوة سلوى لهم في دينهم وفي تأصيل هويتهم وشخصيتهم الإسلامية، وتعدده باباً من أبواب عمل الخير والأجر.

ومكونات الخلوة/المسيح يسيرة فهي في الغالب تشتمل على بيت للشيخ، ومظلة (علية) للدراسة مصنوعة من مواد أولية كالقش وعيدان قصب الدخن تستعمل كمصلى لأداء الصلوات الخمس، وفيها تتم الدروس ومراجعة ألواح الأطفال مع شيخ الخلوة/المسيح التي قد تشتمل على غرفة للضيوف وعابري السبيل، وبعض المشايخ الذين يعتنون بمعالجة الناس بالرقية الشرعية والأدوية الشعبية التقليدية يفردون لهم مكاناً خاصاً لإقامتهم في الخلوة/المسيد لتلقي العلاج، بالإضافة إلى مرافق للوضوء ودورات المياه.

أما الأدوات المستخدمة في الكتابة بالخلوة/المسيح فهي مركزة في أربعة أمور: القلم والمداد واللوح ثم فن الكتابة (الخط)، وهي كلها تصنع من مواد أولية متوفرة في بيئة الخلوة/المسيد، قال الخطاط الشاعر:

ربع الكتابة في سواد مدادها والربع حسن صناعة الكتاب
الربع من قلم سوي بريه وعلى الأوراق رابع الأسباب

ومن أشهر أنواع المداد المستخدم في الكتاتيب/الخلاوي، هو الحبر الكربوني الأسود Carbon Ink، ويتكون من السناجⁱⁱⁱ والصمغ العربي والماء أو الخل المستخرج من الليمون الحامض، والسناج يغلى في النار ثم يتم تصفيته من الشوائب ويخلط مع المواد الأخرى بعد أن يبرد، وهو يحتوي على مواد لا تضر بالكتابة، ويستخدم في الكتابة على اللوح بسهولة إزالته، ويتم تحضير الحبر الأحمر بعدة طرق، منها: استخدام "المغر"، وهو: "مَغْرَ: المَغْرَةُ، والمَغْرَةُ: طين أحمر يصبغ به" (ابن-منظور، 1968، صفحة 181) وهي بذلك عبارة عن تربة حمراء يستفاد من طينها (صلصال المغر) في صناعة الحبر الأحمر، ويستخدم الأهالي هذه المادة في تلوين القلل (جمع قُلَّة) والأباريق المصنوعة من الطين التي تستخدم للطهارة أو الوضوء، وهي نفس التسمية التي تطلق عليه في اللهجات العربية بالمنطقة. ولا يستخدم في كتابة الألواح صبغة الفيرومليون Vermilion نظراً لأن محايثها تشرب للتبرك وقضاء الحاجات^{iv}.

وفي صناعة الأحبار الملونة، يتم صناعة اللونين الأخضر والأصفر اللذين يستخدمان في ضبط الهمزات في القرآن الكريم المخطوط تتم صناعتها بواسطة طمس الحديد البالي بالأصداء في الماء لمدة قد تفوق الأربعين يوماً ثم يصفى الماء وتضاف إليه صبغة الفيرومليون حسب اللون المطلوب وهو حبر ثابت لا يؤثر فيه البلل لاحتوائه على مادة الحديدوز التي تعمل على تثبيته على الأوراق، ويخلط بالسناج مع بقية الخلطة المذكورة آنفاً ليعطي الحبر الأسود، وهو أقرب في مكونات تصنيعه إلى ما يعرف حديثاً بالحبر الحديدي "Iron Ink" (عبدالله وجودات، 2019، الصفحات 46-47).

ويحفظ الحبر/المداد في إناء مصنوع من ثمار نبات القرع الناشف المنتشر في المنطقة، ويسمى الدواة أو الدواية، وله مسميات مختلفة باللغات المحلية في المنطقة،

وحديثاً تستعمل العلب البلاستيكية أو الزجاجية الصغيرة في حفظ المداد (عبدالله جودات، 2019، صفحة 48).

وأما عن الأقلام: فالقلم الأكثر شيوعاً من حيث الاستخدام في الكتاتيب/الخلاوي هو قلم الخشب الذي يصنع من أغصان الأشجار الرفيعة وأجوده المصنوع من سيقان قصب الدخن. وذلك بأحجامه المختلفة الرقيق والمتوسط والسميك، وقد تجده بسن واحدة أو بسنين، وينتشر استخدام قلم البوص الذي يصنع من جريد النخيل أو سعف شجرة الدوم في المناطق الصحراوية. وتصنع الألواح الخشبية للكتابة في الخلاوي من أخشاب بعض النباتات المتوفرة في المنطقة، وأجودها المصنع من أشجار "التمر المصري" (جودات، 2015، الصفحات 16-23).

ومن أشهر أنواع الخطوط التي يتعلمها الطفل منذ نعومة أظافره في الخلوة/المسيح هو الخط السوداني، وهو الذي يمتاز بثقل الأحرف وغلظتها ووجود الزوايا بينها، وهو فرع من الخط القيريواني الذي عرف في سنة 50هـ في مدينة القيروان بتونس، ويليه في الاستخدام الخط المغربي وهو خط حل محل الخط الأندلسي الذي هو في الأصل تطور عن الخط القيريواني، وذلك بعد تدهور أحوال الأندلس في القرن الثامن الهجري، ولكنه لم يحافظ على جمال الخط الأندلسي بل تداخلت حروفه، واحتفظ بطريقة كتابة الإعجام بوضع نقطة الفاء أسفلها والاكتهاف بنقطة واحدة فوق القاف واستدارة حروف النون والسين في آخر الكلمة. وقد يسمى هذا الخط باسم البلدان التي يكتب فيها كـ "الخط الفاسي" (عبدالله جودات، 2019، الصفحات 48-49)، فيبدأ الطفل تعلم الخط في الخلوة/المسيح بوسائل مختلفة "على التراب واللوح، فيكتب على اللوح مثلاً بنواة التمر ويتبع أثر النواة على اللوح، ثم يكتب على اللوح. في مرحلة لاحقة -نقلاً بشكل مباشر بدون الاستعانة بالأثر، ثم يلي ذلك الكتابة المباشرة اعتماداً على ما حفظ من القرآن الكريم دون الاستعانة بالنقل من المصحف الشريف" (أبوبكري، 2017).

وللخلوة في شمالي نيجيريا أنظمة تربوية تشتمل على ضوابط ومنهج متوارث كابرًا عن كابر، فهو نظام يقوم على الشيخ الواحد الذي يلتزم الطريقة الجزئية أو الألفبائية في التعليم مع الاستعانة بالوسائل المتاحة. المذكورة آنفاً. في تحقيق أهدافه، كما يقوم النظام التعليمي على احترام قدرات وملكات وظروف الأطفال (الفروقات التعليمية)، فمنهم من

يحفظ القرآن في عامين ومنهم من يحفظه في ثلاثة أعوام أو أكثر بحيث لا يشارك الطفل زميله في الدرس، وعلى تدريب الطفل على الاعتماد على النفس والقيادة وحسن التعاون مع الآخرين والتواضع لهم والأدب والطاعة للشيخ وغيره من الكبار، ويتم تطبيق ذلك عبر وسائل عملية عديدة، منها: حث الطفل المتقدم على مساعدة المتأخر، والبقاء لمساعدة الشيخ بعد حفظ الطفل للقرآن الكريم لفترة قد تصل إلى أكثر من عام، واعتماد أداء الصلوات الخمس في جماعة، والمشاركة في توفير سبل المعيشة من احتطاب وطحن وغسل ملابس وتنظيف للساحات وأماكن النوم، وتوفير حطب إيقاد نار القرآن (التقابة) التي يتم استخدامها كضوء يستعان به في مذاكرة الألواح المقررة من السور القرآنية الكريمة في الليل بالقرى والبوادي في شمالي نيجيريا (ملحق رقم 1) ... والمنهج المتبع في مدارس القرآن (الخلاوي) قريب من منهج أهل المغرب العربي الذي ذكره ابن خلدون في المقدمة بقوله: "أما أهل المغرب فمنهجهم الاقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء المدارس بالرسم ومساائله واختلاف حملة القرآن فيه، ولا يخلطون مع دراسة القرآن حديث أوفقه أو شعر ولا غير ذلك من كلام العرب، إلى أن يجاوزوا البلوغ إلى الشبابة" (الألوري، 2013، صفحة 76)، وهي طريقة شمالي نيجيريا وبقية بلدان إفريقيا الجناح الغربي جنوب الصحراء قاطبة بتغيير يسير، إذ أنهم لا يخلطون القرآن بشيء من العلوم ... وربما يوجد القليل ممن يضيف إلى القرآن دروساً بشيء من التفصيل في التوحيد والصلاة خصوصاً في خلاوي بيوت العلماء المشهورين. وتعرف هذه المدارس في شمالي نيجيريا باسم: "مدرسة اللوح"، وتنطق بلغة الهوسا "مَكْرَنْتَا اللُّو" (أبوبكر ع.، 1972، الصفحات 150-154)، كما مررنا على ذكره من قبل. كما أن نظام التعليم في الكتاب (الخلوة) يراعي الفروق الفردية بين المتعلمين كما مررنا على ذكره من قبل، وهذا لا يعني بالضرورة "عدم وجود خصائص مشتركة بينهم في كل مرحلة من مراحل نموهم، فالواقع أن هناك قدرًا كبيرًا من النواحي المشتركة بين الأطفال في كل مرحلة" (ميلاد، 2015، صفحة 25)، الأمر الذي يمكن مؤسسة الكتاب (الخلوة)، من وضع الخطط في منهج تدريس الأطفال وتحفيظهم القرآن الكريم في شكل مجموعات يراعى فيها مبدأ الفروق الفردية بين الأطفال في مراحل النمو المختلفة.

ومع تسيد وسيطرة الكتاب/الخلوة كمؤسسة تعتني بتنشئة الطفل وتربيته وتعليمه بدون منافس يذكر على مر العصور، وبوجود الدعم المادي والمعنوي الذي تجده

من الأسرة والمجتمع الذي يرى فيها المؤسسة التعليمية والتربوية الوحيدة القادرة على تربية أطفالهم وحفظ تراثهم وعقيدتهم، وتوفر المنهج التربوي الإسلامي الأصيل في الخلوة/المسيح، ونفور المجتمع والأسرة من نظم التعليم المعاصر المتمثل في "المدارس النظامية"، أصبحت الخلوة/المسيد المؤسسة التعليمية والتربوية التي يرتادها معظم أطفال المجتمع المسلم بشمالى نيجيريا بخاصة، وبلدان إفريقيا الجناح الغربى جنوب الصحراء بعامة.

والخلوة/المسيح بقدر ما فيها من إيجابيات وسلبيات قد ساهمت .بدون شك .على مر العصور فى بناء وتخرج قادة وعلماء أسهموا فى تثبيت دعائم المجتمع المسلم والإسلام وفى الدعوة الناعمة إليه نشرًا وتجديدًا فى المنطقة، وتركوا لنا آثارًا علمية وأدبية فريدة ذخرت بها رفوف المكتبات وخزائن المخطوطات، وصارت على مر الزمان مصدرًا من أهم مصادر القراءة فى ذاكرة أمم هذه المنطقة، وقامت بدور فعّال فى نقل العلوم والحضارة وربط هذه الأمم المسلمة بأصالتها، وكانت ولا زالت جسرًا للتواصل الحضارى والثقافى والتاريخى والاجتماعى والسياسى والاقتصادى بين جيل الآباء وجيل الأبناء فى مجتمعات شمالى نيجيريا بخاصة ودول غربى إفريقيا بعامة.

ولكن مع وجود كثير من التأثيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية فى واقع مجتمعاتنا اليوم ...، وما صاحب ذلك من انفجار معلوماتى وتطور تكنولوجى، ومع جمود حالة الخلوة/المسيح التى ظلت محافظة ومتمسكة بمنهجها التربوى والتعليمى الموروث، وغياب حركة التجديد المبينة على الاهتمام بتطوير أهدافها وأنشطتها التربوية والتعليمية مدارس وممارسة بصورة تواكب متطلبات العصر ومقتضياته، بدأت مؤسسة الخلوة/المسيد يشوبها الكثير من الآثار السلبية التى كان لها بالغ الأثر فى تنشئة الطفل وتربيته، الأمر الذى ترتب عليه ظهور أنماط من سوء معاملة الأطفال وإهمالهم فى مؤسسة الكتاب/الخلوة بالمنطقة، وهذا ما حاولنا رصدّه والتمثيل له وتحليله فى العنصر التالى.

العنصر الأول: أنماط سوء معاملة أطفال الكتاتيب القرآنية التقليدية (الخلاوي) وإهمالهم بشمالى نيجيريا:

تُعد جمهورية نيجيريا الفدرالية من البلدان التى صادقت على اتفاقية حقوق الطفل التى اعتمدها الجمعية العامة للأمم المتحدة فى عام 1989م، وعلى الرغم من توافر

الإرادة السياسية الواضحة لدى الدولة من خلال التصديق على بنود هذه الاتفاقية، إلا أن الوضع الحالي يشير إلى أن العديد من الأطفال فيها لا يتمتعون بالحد الأدنى من الرعاية والحماية الكافيتين من قبل الأسرة والمجتمع ومعظم الحكومات النيجيرية المتعاقبة على الحكم على المستوى الاتحادي والولائي، حيث نجد إن "الولايات الشمالية ذات الغالبية المسلمة تعاني من ارتفاع في نسب الأمية حيث يعيش 15 مليون طفل خارج المدرسة" (يهودا، 2021)، يمثل غالبيتهم أطفال الكتاتيب القرآنية (الخلاوي) بشمالي نيجيريا بخاصة، الذين تفشت فيهم العديد من أنماط سوء المعاملة والإهمال، وقد عرفت هذه الظاهرة تطوراً متزايداً في الآونة الأخيرة، وكل ذلك ناتج بشكل أساس عن تردي سوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية بالإضافة إلى انتشار الرشوة والفساد في القطاع العام.

وفي برنامج دعمته حكومة ولاية كنو بشمالي نيجيريا يهدف إلى علاج أنماط سوء معاملة أطفال الكتاتيب القرآنية (أَلْمَاجِرِي/ALMAJIRI)^٧ وإهمالهم، ووفقاً للسجلات والوثائق المتوفرة في مكتب المستشار الخاص في شؤون التربية الإسلامية لحاكم ولاية كنو، قد تم تجميع أكثر من 537.562 طفلاً كمنموذج في 3.219 كتاب مع 1.200 شيخ (معلم)، وذلك على مستوى 44 حكومة محلية تابعة لولاية كنو وحدها في الفترة ما بين (2003.2007م)، وذلك لاستهدافهم ببرنامج الولاية الداعي إلى تحسين مستوى بيئة التعليم في الكتاتيب القرآنية (الخلاوي). والذي سوف نمر على ذكره بشيء من التفصيل في محله. فما بالك بالولايات الأخرى في شمالي نيجيريا والتي تتجاوز نصف الولايات المكونة لجمهورية نيجيريا الاتحادية البالغة 36 ولاية في مجموعها، حيث أصبح فيها رؤية أطفال الكتاتيب القرآنية (أَلْمَاجِرِي)، سمة عادية ومسلم بها لا يمكن فصلها عن الحياة الحضرية والبدوية، الأمر الذي نتج عنه وقوع مجموعة من أنماط سوء معاملة أطفال الكتاتيب القرآنية التقليدية وإهمالهم بشمالي نيجيريا (الجلي، 2012)، نورد لها نماذج فيما يلي على سبيل المثال لا الحصر:

1. الإساءة الجسدية: تتسم الخلوة بنظام العقاب البدني الذي يتخذ أشكالا مختلفة من الضرب بالسوط والقيد بالسلاسل والأصفاد الحديدية وبعض العادات الأخرى التي قد ينتج عنها إصابات وعاهات مستديمة قد تفضي إلى الموت في بعض الأحيان، يمكن وصف بعض هذه الحالات فيما يلي:

■ إن الأطفال في الخلاوي يتقسمون إلى مجموعات في الخلوة الواحدة، ويكون لكل مجموعة رئيس، وعند الذهاب إلى الاحتطاب^{vi}، يأمر بعض رؤساء المجموعات الأطفال بالمصارعة فيما بينهم (من كل مجموعة طفل)، فيحدث نتيجة لذلك إصابات بكدمات وخدوش تتترك أثارًا على جسد الطفل، ولا يحق للأطفال الشكوى للشيخ لأن كلمة رؤساء المجموعات مسموعة في عرف الخلاوي عند المشايخ، والطفل الذي يتجرأ على الإقدام بالشكوى يكون عرضة لعنف وتنمر رؤساء المجموعات وإرهابهم، خاصة وهم يتقدمونه في السن والمنعة، وذلك من ضرب وإذلال وسب وتحمله أعباء المجموعة التابع لها من الخدمة الموكلة إليهم من حمل الحطب أو المتاع عند الترحال من مكان إلى آخر ...

■ عند عدم تعاون الأطفال مع رؤساء المجموعات فإن الطفل قد يتم الإبلاغ عنه لدى الشيخ الذي يقوم بضربه بالسوط دون أن يبذل جهدًا في التحقق - في الغالب - عن ارتكاب الطفل للمخالفة المذكورة، وذلك لفرض سلطة رئيس المجموعة الذي يعتبر المسؤول الأول والأخير عن مجموعته مع غياب الشيخ، والضرب يكون بالسوط في ظهر الأرجل (الفلكة) أو أي مكان في جسمه بصورة عشوائية، والضرب - في الغالب - يترك أثارًا وعلامات دائمة على جسم الطفل، وقد يقع العقاب بالضرب في حال أن التلميذ قصر في أداء واجباته في حفظ القرآن الكريم، أو أية واجبات أخرى أمر بها الشيخ أو رئيس المجموعة.

■ الدراسة في الخلاوي تستمر إلى منتصف الليل حول نار القرآن (التقابة)، فإذا رأى الشيخ الطفل ينام أثناء مذاكرة القرآن بعد يوم مثقل بالمهام والواجبات - كما سنرى فيما بعد - فإنه قد يأمر الطفل بالقراءة واقفًا، أو قد يضع حصاة بين عنقه وكتفه، فإذا نام الطفل وقعت الحصاة على اللوح وأصدرت صوتًا، فينتبه الشيخ لذلك فيوقفه ضربًا بالسوط، ويصنع السوط من سيور جلد الحيوانات، وأكثره قوة ومنعة المصنوع من سيور جلد فرس النهر أو الإبل.

■ عندما يتمرد الطفل على النظم المتبعة في الدراسة في الكتاتيب (الخلاوي) ويظهر قصورًا في الحفظ، أو يحاول الهرب من الخلوة، أو يظهر عليه انحراف أخلاقي أو سلوكي بتعاطيه الممنوعات أو المخدرات أو احترافه للسرقة، أو

تمادى في عنفه مع أقرانه من أطفال منطقته، وعجز ذووه (والداه) من التحكم فيما أصابه ... ، فإن بعض الأهالي يختارون نوعاً آخر من الخلاوي يتم فيها تقييد الطفل بسلاسل وأصفاد من حديد^{vii}، وأشهر هذه الخلاوي التي لا زالت تتعامل بهذا الأسلوب في شمالي نيجيريا - في وقتنا الحالي - خلوة مالم سعيديو بحارة شروماوا بكنو (وعمرها حوالي 500 سنة) وبها حوالي 500 تلميذ، وخلوة الحجيجي بحارة شريفي بمدينة كانو (وعمرها حوالي 400 سنة)، وبها حوالي 1000 تلميذ، ومعظمهم من الأطفال الذين تم جلبهم من ضواحي المدن والقرى المختلفة وتتراوح أعمارهم ما بين 6 إلى 15 سنة، وتشتهر هذه الخلاوي باسم: "خلوة المتمردين"، فعائل الطفل (والده) يجلبه إلى هذه الخلوة ويدفع مبلغاً في حدود الـ 50.000 نيرة نيجيرية أو أكثر بقليل للتكفل بإطعام طفله^{viii}. ويترك الربط أثاراً فظيعة من الجروح في أقدام الأطفال - موضع الربط - والأطفال المقيدون على شكلين: فالأول يتم فيه تقييد الطفل لفترة تتراوح من شهرين إلى ستة أشهر ثم يتم إطلاقه ليملك في الخلوة ويحفظ القرآن الكريم، أما الثاني فيكون في حال إذا ما حاول الطفل الهروب^{ix} من الخلوة وقبض عليه، فإن مدة ربطه في هذه الحالة قد تستمر إلى سنوات لا يعلمها إلا الله. ويوجد فرع خاص بالبنيات في هذه الخلاوي ومنهم المقيدات. وقد يكون من بين الأطفال من ينتسب إلى أسر غنية أو لها مكانة اجتماعية عظيمة في المنطقة، ومنهم أيضاً أبناء الفقراء وهم الأغلبية، وحين يفك القيد يكون قد ترك أثراً في جسم الطفل لا يمكن إزالته أو يتترك عاهة دائمة عليه تؤدي إلى التسبب في الموت أحياناً نتيجة اختلاط صدى الأصفاد والسلاسل الحديدية مع دم جروح الطفل نتيجة إصابته بالتهنن القاتل، (ملحق رقم 5). وهذا نظام موروث قديم الزمان في المنطقة، وإن تغيرت الأسباب المؤدية إليه في وقتنا الحالي، وقد وصفه ابن بطوطة في رحلاته عند زيارته للمنطقة كما مررنا على ذكره في مدخل هذه الورقة (رابع،^x 2012م).

■ أنواع العقوبات في الخلاوي التي تتعامل مع نظام الربط بالسلاسل والأغلال الحديدية أشد، ولها أنماط مختلفة منها: الضرب بالسوط المصنوع من

الجلد، وهو قد يتجاوز أحيانا حيز العقل، ويترك آثارًا سيئة للغاية على جسم الطفل المعاقب، ومنهم من يصاب بإعاقة جسدية دائمة نتيجة الضرب، أو إعاقة عقلية نتيجة الربط، ومن أنواع العقوبات أيضًا ضرب الطفل وهو معلق في السقف بحيث لا تصل قدماه إلى الأرض، وفي وقت البرد يصب عليه الماء البارد صباحًا ويضرب بالسوط، وقد يركع الطفل كاشفًا ظهره ويضرب بالسوط، ويستعمل الصعق بالكهرباء حديثًا في هذه الخلاوي لدرجة قد يتغوط معها الطفل أو يتبول من شدة الصعق بالكهرباء (رابع، 2012)، أما إذا حاول الطفل الهرب وقبض عليه فالله أعلم بشكل العقوبة التي قد يواجهها، فقد يربط الطفل مع طفل آخر متقدم عليه في العمر، وهما بذلك لا يفترقان حتى عند قضاء الحاجة.

2. **الإساءة الانفعالية:** تتعد أنواع الإساءة الانفعالية التي يواجهها أطفال الكتاتيب (الخلاوي)، ويمكن أن نجمل صورها فيما يلي على سبيل المثال:

■ **الازدراء:** غالبًا لا يستطيع الشيخ التكفل بإطعام أطفال خلوته، لأن الخلوة الواحدة تشتمل على العديد من التلاميذ الذين قد يتراوح عددهم بين 50 و200 طفل أو أكثر في بعض الأحيان، لذلك يسمح لهم بالذهاب إلى بيوت أهالي المنطقة التي بها الكتاب (الخلوة)، من بيت إلى آخر لتسول الطعام في أوقات تناول الوجبات، وإذا وجد أطفال الخلاوي (المُكَجِرِي) الناس محتفين حول المائدة يجلسون بقرهم عسى أن يجدوا من فضلتهم شيئًا، أو يحصلوا على رد إيجابي أو سلمي على طلبهم (ملحق رقم 3). ويضطر الطفل في كثير من الأحيان إلى تكرار السؤال والتنازل عن كرامته وإظهار خضوعه ومسكنته وتقديم خدمة أثناء الانتظار لأصحاب المنزل. في بعض الأحيان - في سبيل الحصول على هذه الفضلة، وقد يطرد أو يوصف بالمزعج أو بألفاظ فيها دلالة على الإساءة والازدراء (عبدالقادر، 1995، الصفحات 20-23).

■ **الإرهاب:** وفي السياق نفسه، فإن الطفل لا يأكل مما وجد من طعام حتى يشبع سيده "شيخه"، ورؤساء المجموعات من المتقدمين في العمر من الأطفال، فإذا أخفى الطفل شيئًا من الطعام أو أكل منه قبل أن يشبع سيده "الشيخ"، فإن "الشيخ" قد يشم فمه أو يده، فإذا وجد رائحة طعام طيبة تفوح من فمه أو يده، فإن الطفل قد يعاقب بالضرب على تطاوله ومخالفته لما يعتبر قاعدة عرفية. ويتم إرهاب الطفل بأنه في حال

عدم امتثاله للأعراف الخاصة بالخلوة وتمرده عليها أو الهروب منها، فإنه سوف يتم إرساله إلى الخلاوي التي تعمل بنظام التقييد بالأصفاد والسلاسل الحديدية - كما ذكرنا من قبل - أو يتم إرساله إلى مناطق بعيدة مشهورة بقلّة الطعام وكثرة العمل ولا يمكن أن يهرب الطفل منها ليعود إلى موطنه لأنها تقع في مناطق بعيدة ومعزولة طبيعياً، فتظل هذه الفكرة المريعة مسيطرة على ذهن الطفل وعقله، لأنه في الغالب سمع عنها أو رأى هيئتها بالفعل. وقد يقع الإرهاب عن طريق رؤساء المجموعات المتقدمين على الأطفال في السن، وذلك بأنهم سيخبرون الشيخ - ولو كذباً - ليتهم عقابهم في حال أن الطفل لم يقيم بتنفيذ أوامرهم، كما أن الأطفال يتعرضون إلى الإرهاب والخوف الناتج عن تعرضهم لهيجان كلاب الحراسة في البيوت التي يتسولون الطعام فيها، وقد يتعرض الطفل إلى عض الكلاب أحياناً، وأخطرها المصابة بالسَّعَر (داء الكَلَب).

■ **العزلة والحرمان:** العزلة والحرمان من أنواع العقوبات التي تستعمل في الخلوة، ويتم ذلك عن طريق منع الطفل مع التفاعل مع أقرانه في أوقات العطل والأعياد، أو الخروج معهم لقضاء بعض المهام، ويكون بذلك جالساً لوحده في الخلوة لفترات زمنية طويلة. ومنها: أن الطفل قد يحرم من تناول الطعام لمدة قد تصل إلى يوم كامل، أو يتم عزله بإغلاقه في غرفة أو مرحاض متسخ أصلاً وهو مقيد، وقد يتم عزل الطفل بإرساله إلى خلاوي واقعة في مناطق بعيدة ومعزولة طبيعياً يصعب على الطفل الهرب منها، وذلك في حال تمرده على الأنظمة السائدة في الخلاوي أو تكرار هروبه منها. ولعل أبشع صور العزلة والحرمان تتمثل في أن الطفل يحرم لمدة تتراوح ما بين سنتين إلى عشر سنوات أو أكثر من لقاء أفراد أسرته (والده ووالدته وأشقائه)، حتى أنه لا يفكر في العودة إليهم ولقائهم إلا بعد حفظه للقرآن الكريم.

■ **الاستغلال والفساد:** يأخذ بعض شيوخ الخلاوي الأطفال لزراعة وفلاحة مزارعهم الخاصة بهم في موسم الخريف، ويفهمونهم أن هذا العمل يقع في إطار كسب القربى وإظهار الطاعة التي يفترض على الطفل القيام بها تجاه خدمة شيخه، ليزيد بذلك من حظوظ خصوصيته في تلقي العلم والحفظ، ويدخل في ذلك مهمة رعي أغنام الشيخ أو الإبل/الأبقار الخاصة به. وفي يوم السوق^{xi} يفرض بعض شيوخ الخلاوي على الأطفال

مبلغاً معيناً ينبغي عليهم تحصيله عن طريق الإلحاح على الناس بالتسول أو العمل في السوق يحمل متاع الناس من السوق إلى بيوتهم أو نقله من مكان إلى آخر من الصباح إلى المساء، وذلك مقابل مبلغ يسير من المال يحصده التلميذ ليسلمه إلى شيخه، وإلا سيواجه العقاب المخصص لذلك من ضرب بالسوط وشد على الأذن ... وإذلال وإهانة بالتوبيخ اللفظي تجعله يشعر بأنه مقصر وغير قادر على أداء أية مهمة توكل إليه ... (عبدالقادر، 1995م: 20-23)، وقد يجمع الطفل المتأخر في العمر المبلغ ويأخذه منه المتقدم عليه عنوة ليحمي نفسه من سوء العقاب ويورط الطفل المتأخر، وهذا التصرف يؤدي - تحت الضغط النفسي لتحصيل المبلغ - إلى الانحراف المتمثل في ارتكاب جنحة السرقة والغش والخداع وفقدان الثقة بالنفس. وقد يعمل الطفل في بيوت بعض الأهالي التي تجاور الخلوة في غسيل الأواني المنزلية والملابس وتنظيف البيت ...، وذلك بعلم الشيخ الذي يتولى - في الغالب - تحصيل أجرة عمله، وإذا حصل الطفل نتيجة عمله هذا على وجبة نظيفة خصه بها أهل المنزل الذي يعمل فيه يستأثر بها الشيخ وأسرته من دونه، ودروب العمل كثيرة منها مساعدة بائعات الطعام في المناطق الصناعية وتجمعات العمالة بجمع الأواني وغسلها وحملها عند رجوع البائعات إلى بيوتهن ومساعدة أصحاب المتاجر في الأحياء والأسواق العامة نظير أجر زهيد مرتقب أو فضلة طعام (ملحق رقم 2).

3. **الإساءة الصحية:** يتعرض طفل الخلاوي إلى العديد من أشكال الإساءة الصحية، والتي يمكن ذكرها فيما يلي على سبيل المثال لا الحصر:

- يتعرض أطفال الخلاوي إلى سوء التغذية نتيجة الطريقة التي يحصلون بها على طعامهم عن طريق تسول فضلات الطعام - كما ذكرنا آنفاً - وينتظر أطفال الخلاوي المناسبات والأعياد والأفراح وصدقة الميت التي لا تقام إلا نادراً في السنة ليسعد بتناول بقايا وفضلات وجبة دسمة ومتنوعة.
- مع عدم توفر المسكن النظيف لأطفال الخلاوي وما ينتعلونه، أو غطاء يقيهم شر البرد ونزلاته، ومع ملابس رثة قديمة مستعملة جادت بها أيادي بعض المحسنين للأطفال، وعدم توفر الاستحمام بطريقة منتظمة بالصابون والماء (ملحق رقم 4)، وكثافة الأطفال في الخلوة الواحدة، يكون الطفل عرضة لأمراض الروماتيزم ونزلات البرد والملاريا والأمراض المعدية مثل: الأمراض

الجلدية بأنواعها المختلفة والسل والحصبة والجدرى الكاذب والكوليرا ورمم العيون ... وغيرها من الأمراض التي – مع انعدام الوقاية والرعاية الصحية والقدرة المالية لتلقي العلاج السليم – قد تؤدي إلى وفاة الطفل أحياناً.

■ وإذا مرض الطفل وحاول الشيخ علاجه بالقليل المتوفر لديه من أعشاب تقليدية أو رقية وإذا لم يستجب أو يفلح العلاج واشتد المرض على الطفل، فإنه يرسل في طلب والده لأخذه معه وتحمل أعباء علاجه ورعايته صحياً، وقد يحدث ذلك بعد فوات الأوان لكون غالب أمراض الأطفال المنتشرة في المنطقة معدية وفتاكة وقاتلة، كما هو واضح فيما تم ذكره في النقطة السابقة.

■ وفي بعض الخلاوي وخاصة تلك التي تعتمد نظام الربط بالسلاسل والأصفاد الحديدية، تجد فيها الطفل نتيجة الأوساخ والقذارة وانعدام الرعاية الصحية يسير على جسمه الدود والبرغوث والقمل، وقد تشققت أرجله واكتست بطبقة من الأوساخ ... مما ينتج عنه مرض ضعف الدم والملاريا وتفشي الأمراض الجلدية بأنواعها المختلفة.

4. الإهمال: صور الإهمال التي يعيشها أطفال الكتاتيب القرآنية (الخلاوي) كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

■ الطفل في الخلوة يفارق والديه ويهجر في طلب حفظ القرآن الكريم، وبالتالي فإن الوالدين عند تهجيرهم يسمعون فقط بأن ابنهم موجود في المنطقة الفلانية، أو أنه حفظ كذا من أجزاء القرآن الكريم حتى الآن، ولكنه - أي الطفل - لا يحظى بأي عناية أسرية مباشرة تذكر من قبل والديه منذ لحظة تسليمه لشيخ الخلوة، علماً بأن هذه الفترة قد تتراوح بين ثلاث سنوات إلى عشر أو أكثر دون رؤية أسرته ووالديه، وإذا ما وضعنا في الاعتبار الفئات العمرية لأطفال الخلاوي في شمالي نيجيريا عموماً والتي تتراوح ما بين (6 إلى 17 سنة)، نجد الطفل بذلك يمر بمراحل الطفولة المبكرة والطفولة الوسطى والمتأخرة إلى مرحلة البلوغ والمراهقة دون أدنى رعاية لا من قبل والديه أو المجتمع. فلك أن تتخيل - أخي القارئ - مقدار الإهمال والعواقب التي يمكن أن تنتج عنه (أوراق الورشة الإقليمية ، 2006م).

- يقضي طفل الخلوة ساعات طويلة خارجها طلباً للطعام أو تنفيذاً لمهمة الشيخ بالتسول، ولا يهتم الشيخ سوى بالنتيجة التي يريجوها من ذلك، ولا يسأل كيف قضى يومه؟ ولا مع من فعل ذلك؟ ولا كيف نفذ طلباته؟ ولا عن السلوك الخلقي السيء الذي يكون الطفل قد اكتسبه نتيجة هذا الغياب والاختلاط مع الغير؟.
 - لا أحد يهتم بنظافة طفل الخلوة أو ملبسه الرث القديم أصلاً، أو ماذا ينتعل في رجليه؟، ولا بالإجابة على بعض التساؤلات والاستفسارات على المواقف التي تواجهه في حياته اليومية في بيئته ومجتمعه؟ (ملحق رقم 4).
 - يهمل طفل الخلوة في حالة مرضه، ولا يجد من يعودده أو يزوره أو يسمع شكواه، سوى مواساة لا تسمن ولا تغني عن جوع من قبل بعض أقرانه وأصدقائه من أطفال الخلوة؟.
 - كثيراً ما نسمع عن بلاغات بضائع الأطفال عمومًا وأطفال الخلاوي على وجه الخصوص ويأتي فقدانهم نتيجة الإهمال. وفي الغالب لا يتم استرجاع هؤلاء الأطفال، وكثيرًا ما نتحدث قطاعات مختلفة في المجتمع عن استخدامهم في تجارة البشر (الرق)، أو تجارة الأعضاء البشرية، أو استخدامهم في أمور تتعلق بالسحر والشعوذة، وهذا النوع من الحوادث (ضاياع الأطفال) في حاجة إلى مزيد من الدراسة والبحث في المنطقة، وذلك أن أحداثه لا تسجل لدى الجهات الأمنية المعتمدة، لا من قبل شيوخ الخلاوي ولا من الأهالي الذين يعيشون العمر كله في انتظار عودة طفلهم يومًا ما؟.
 - أطفال الخلاوي نتيجة هذا الإهمال هم عرضة لحوادث المرور السريع في حال هجرتهم في اتجاه المدن الكبيرة المكتظة بالحركة والسكان، خاصة وأن أغليبيتهم من أبناء البدو والقرى الذين لا يحسنون التعامل مع حركة مرور السيارات الكثيفة.
5. **الإساءة الجنسية:** هذا النوع من الإساءة في مجتمع المنطقة - وإن حدث لأطفال الكتاتيب القرآنية (الخلاوي) - فإن الطفل والمجتمع لا يحبذ التصريح به والحديث عنه، وذلك نتيجة ارتباطه بمفهوم العار أو الخوف وإرهاب الطفل الذي تأذى، وهو موضوع يحتاج إلى مزيد من البحث والتدقيق. ولكن الثابت أن أطفال الخلاوي نتيجة الإهمال وقضاء أوقات طويلة لوحدهم في الشوارع ودخولهم إلى بيوت الناس طلباً للطعام، بالإضافة إلى شيوع استخدام الهواتف النقالة وتعرض الأطفال لمشاهدة الصور واللقطات الإباحية في الدولة التي لا تحرم أو تمنع تداول وبيع مقاطع الأفلام

الإباحية بصورة صريحة في المحال العامة، وأن الأطفال في هذه الخلاوي ينامون - مع كثرة عددهم وتفاوت فئاتهم العمرية - في غرف ضيقة خاصة في فصل الخريف، واغتسالهم مجتمعين في البرك الضحلة والوديان والأنهر وهم عراة ينظر بعضهم إلى بعض.... نجد أن أطفال الكتاتيب (الخلاوي) - مع هذه الأمور مجتمعة - هم عرضة لمثل هذا النوع من الإساءة في مجتمعات تفشت فيها الرذيلة ومسبباتها أصلاً، ولا شك أن في هذه الأمور مجتمعة خطورة على الطفل لا تخفى على أي مخلص مهتم. علمًا بأن بعض الدول المتقدمة في نظامها القضائي بإفريقيا جنوب الصحراء قد سجلت حالات اغتصاب في الكتاتيب القرآنية (الخلاوي) من قبل مشايخ الكتاب/الخلوة أنفسهم في بعض الأحيان، وقد تداولت مثل هذه الحالات الكثير من الصحف اليومية في المنطقة، ولعل من أبرزها على سبيل المثال، "الحكم الذي أصدره القاضي عمر عوض إدريس، بالإعدام على "شيخ خلوة حي الجمهورية شمال" بمدينة القصارف بالسودان، بعد إدانته باغتصاب ثلاثة من تلامذته بالخلوة الملحقة بالمسجد في شهر أبريل من العام 2018م، حيث أوضحت المحكمة أن الاتهام تقدم بقضية متكاملة الأركان تقود إلى اتجاه واحد هو إدانة المتهم دون سواه، حيث قام الاتهام بتعضيد بيناته، بينات الأطفال المجني عليهم، وبينات أخرى تمثلت في الوقائع المتشابهة، بجانب التقارير الطبية من الطبيب الشرعي المرفقة للمجني عليهم، مما قاد المحكمة للاطمئنان التام للبينات التي تقدم بها الاتهام، والتي وفرت في مجملها عناصر وأركان المادة (45/ق) من قانون الطفل لسنة 2010م، وعليه أصدرت حكمها بالإعدام للمتهم حتى الموت" (مختار، 2018). وعلى كل حال، ينبغي التأكيد بعدم التسليم بأن كل شيوخ الخلاوي هكذا، بل نؤكد على أن معظمهم يقومون بأدوار مقدرة في الدعوة الناعمة للإسلام إنتشارًا وتجديدًا، ولديهم مقدرات فائقة على الجذب والضم للإسلام وتجديد روحه دون إكراه أو استخدام القوة كوسيلة للإقناع ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل، 125)، ولديهم إسهامات عظيمة وهامة في ترسيخ السلوك السلمي المجتمعي، وإعادة تجذير تقاليد سلوك التعايش السلمي في مجتمعاتنا وفي التعايش مع الآخر ﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى، فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ

يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) (طه، 44-43)، ولكن الأمر برمته في حاجة إلى دراسة وبحث علمي دقيق يفضي إلى ضرورة ضبط ومراجعة الخلل الإداري الذي يكمن في إهمال إدارة شؤون الكتاتيب القرآنية (الخلاوي) ورقابتها من قبل الحكومات والمجتمع، مع سن نصوص قانونية محددة ومصاغة تعمل على تنظيم العملية التربوية والتعليمية في مؤسسة الكتاتيب القرآنية (الخلاوي)، وتنظم المعاملة الجزائية للمعتدي بطريقة تكون فيها العقوبة مغلظة ورادعة لكل من تسول له نفسه سوء معاملة أطفال الكتاتيب القرآنية (الخلاوي) وإيذائهم، وذلك حتى لا نفع في مثل هذه الحوادث أو يتم تكررها، وحتى يكون الكتاب/الخلوة مكاناً بعيداً كل البعد عن الأثام والرذائل والموبقات التي تسود المجتمع، لكونها مؤسسة تربوية تعليمية تقوم على هدف نبيل وسامي يتمثل في تعليم القرآن الكريم حفظاً وكتابةً، وترسيخ مبادئ الدين الحنيف من عقيدة وعبادات وأخلاق وتهذيب السلوك الفردي والجماعي.

لا شك أن ما يحدث من سوء معاملة لأطفال الكتاتيب القرآنية (الخلاوي) وإهمالهم، في الصور والأمثلة التي أوردناها سابقاً، قد اشتملت على العديد من أنماط سوء المعاملة والإهمال التي تترك آثاراً سلبية طويلة المدى على الصحة النفسية والحسية للطفل، الأمر الذي ينعكس بدوره على مستقبل الطفل والمجتمع، وهذا ما حاولنا حصره في العنصر التالي:

العنصر الثاني: أثر سوء معاملة أطفال الكتاتيب القرآنية التقليدية وإهمالهم على الطفل والمجتمع بشمال نيجيريا:

مما لا شك فيه أن هناك عوامل أسرية ناتجة عن الضغوط الاجتماعية والاقتصادية الراهنة، بالإضافة إلى انتشار الرشوة والفساد في القطاع العام تقف وراء الإساءة إلى بعض أطفال الكتاتيب القرآنية (الخلاوي) وإهمالهم، ولا علاقة لذلك بأهداف التعليم نفسه الذي أسس من أجله الكتاب/الخلوة المبني على هدف تربوي نبيل وسامي يتمثل في تعليم القرآن الكريم حفظاً وكتابةً ومبادئ الدين الحنيف من عقيدة وعبادات وأخلاق وتهذيب للسلوك الفردي والجماعي، فكثير من الأسر تعتقد في نظام تهجير الأطفال وإبعادهم عنها رفعاً لمستوى تربيتهم وتدريباً لهم على قوة التحمل وتعويداً لهم في الاستمرار في الحياة الصعبة التي لا تخلو من سمة العوز والفقر في الغالب، وينسون أنهم مسؤولون أمام الله عز وجل ثم المجتمع من توفير العون والمساعدة اللازمين لأطفالهم، والأصوات التي

تنادي بإحقاق الحق والتصحيح في مسار هؤلاء الأطفال من المجتمع خافضة غير مسموعة، بل أن المجتمع - في معظمه - يتعامل مع حالة تهجير الأطفال في حفظ القرآن الكريم على أنها أمر طبيعي لا يمكن إخراجهم عن السياق العام لعادات وتقاليده وأعراف المجتمع، بينما يرى البعض الآخر أن من يقوم بتهجير ابنه يعمل أصلاً على الهروب من مسؤولياته نتيجة الضغوط الاجتماعية والاقتصادية المتمثلة في انتشار الفقر والعوز والجهل وعدم توفر أبسط الإمكانيات اللازمة للوقاية والرعاية الاجتماعية والصحية، فتتأزم بين هذا وذاك معاناة أطفال الخلاوي (المُأجري) النفسية والحسية، خاصة إذا ما أضفنا تصدر دولة نيجيريا لقائمة دول العالم - وبشكل مستمر - لمواقع متقدمة في تقارير منظمة الشفافية الدولية السنوية الخاص بالرشوة والفساد في القطاع العام (2021م)، والتي احتلت فيه المرتبة 154 في تقرير منظمة الشفافية الدولية (الشفافية-الدولية، 2021، صفحة 3)، علماً بأنها ترفض رسمياً مواقعها المتقدمة في تقارير المنظمة المختلفة بهذا الخصوص، وذلك على الرغم من اعتراف الجميع بما تمتلكه دولة نيجيريا من مصادر وثروات زراعية وطبيعية من بترول ومعادن وغيرها وذلك بحسب تقارير المنظمات الدولية، وأن الحكومات - في معظم ولايات شمالي نيجيريا - لا تعير لنظام التعليم في الكنائس (الخلاوي) اهتماماً يذكر، ولا تبدي أية إرادة سياسية لعلاج أنماط الإساءة والإهمال التي ثبت وقوعها على أطفال الكنائس/الخلاوي القرائية (المُأجري)، الأمر الذي أثر بدوره على مستقبل الطفل والمجتمع، ويمكن رؤية صور هذا التأثير بوضوح فيما يلي:

1. النظام التربوي في الخلوة لا يقدم التعليم بصورة تراعي التوازن بين التكوين المعرفي والوجداني والمهاري، ففي الغالب يهمل الجانب الوجداني والمهاري الذي يعتبر ضرورياً في تكامل التكوين عند المتعلم، فهو بذلك يهتم بحفظ كتاب الله عز وجل، ولا يقدم في منهجه أي ثقافة دينية من تفسير وفهم لآيات القرآن الكريم وأحكام عبادات وفقه معاملات ... فضلاً عن علوم الحياة والكون الذي يعيش فيه الطفل، وهذا الأمر أثر في مستقبل حياة الطفل بحيث جعله عرضة للبطالة وعدم التكافؤ الاجتماعي لانعدام قدرته على ممارسة أي مهنة يفتقر منها، لتكون بذلك سمة العوز والفقر ملازمة لطفل الخلاوي في مستقبله غالباً، الأمر الذي يجعله عاجزاً عن الاندماج في المجتمع وتوفير أيسر حاجيات هذا الاندماج والعيش الطبيعي من مأكل ومسكن

ورعاية صحية وتكوين أسرة ... وقد تدفعه هذه الوضعية إلى الانحراف الأخلاقي والسلوكي طمعاً في تلبية حاجاته مع عجزه المستمر في الاندماج في المجتمع وتوفير أيسر مقومات العيش فيه، فيستعين بالسرقة والغش والخداع وممارسة الشعوذة والسحر ... ليغطي أسهل متطلبات الحياة المادية. ولهذا تأثير واضح في تنمية البنية الاقتصادية المتعلقة بالأيدي العاملة والكوادر الفاعلة والمتفاعلة مع الخطط التنموية المطبقة في ولايات شمالي نيجيريا، وتشويه لشخصية المسلم الحافظ لكتاب الله عز وجل الذي ينتظر منه أن يكون القدوة والمثال في الخلق والأخلاق والسلوك.

2. انماط الإساءة إلى أطفال الكتاتيب/الخلاوي القرآنية وإهمالهم - والتي مررنا على ذكر بعض من نماذجها - عند وقوعها على الطفل تقدم للمجتمع شخصية انطوائية ضعيفة الثقة بنفسها، يملكها العدوان والإحباط والقلق والانفعال غير المبرر غالباً، فيؤثر ذلك على سلوكه ومعاملاته مع أفراد أسرته وعائلته، وتفاعله مع قطاعات المجتمع المختلفة الذي يعيش فيه، فتجده لا يعرف سمة الاستقرار في حياته إلا نادراً، ولا يرى أن عليه حقوقاً وواجبات تجاه عائلته والمجتمع الذي أمعن في الإساءة إليه وإهماله، الأمر الذي يتسبب بدوره في خلق فجوة وجفوة بين عناصر المجتمع الواحد ويفكك الروابط المجتمعية المتمثلة في العائلة والأسرة والفرد، ويقلل من الشعور بالمسؤولية تجاه الآخر، وينعدم مع ذلك مفهوم الواجب ونكران الذات تجاه الآخر الذي ينبغي أن يتحلى به الفرد تجاه الجماعة والعكس.

3. الإهمال والإساءة الصحية في أوساط أطفال الكتاتيب (الخلاوي)، المتمثلة في تردي الوقاية والرعاية الصحية وانعدام القدرة المالية لتلقي العلاج السليم وقلة الوعي بها، مع كثافة الأطفال في الخلوة الواحدة، تعتبر عاملاً من العوامل الأساسية التي تساعد في انتشار الأمراض المعدية في المجتمع من: سل وكوليرا وحصبة وجذري كاذب ورمم العيون وكورونا ... وغيرها من أمراض الأطفال المعدية المنتشرة في المنطقة، فتنتشر بذلك الأمراض الموبئة والمعدية الفتاكة التي ما فتئت مجتمعات ولايات شمالي نيجيريا تعيشها وتعاني منها حتى أصبحت لها مواسم معلومة.

4. ظاهرة أطفال الكتاتيب/الخلاوي القرآنية (أَلْمَاجِرِي) - في أيامنا هذه - أسهمت بشكل مباشر في تردي المظهر العام للحياة الحضرية في مدن حاضرات الولايات الشمالية في نيجيريا بعامة، فالزائر إلى هذه الولايات الشمالية لا يكاد نظره يغيب في

كل دوران أو سوق أو موقف سيارات أو محطة بنزين أو مطعم أو استراحة عن أطفال الكتاتيب القرآنية (الخلاوي) بملابسهم الرثة، وأرجلهم الحافية، وأجسامهم المتسخة، وفي أيديهم إناء قديم ومتسخ يتسولون به ويأكلون فيه (ملحق رقم 4)، وهذا المشهد - من جهة أخرى - فيه اساءة إلى صورة الإسلام في المجتمع وشكله في نفوس المسلمين وغيرهم، حتى إن أحد الزملاء الذين درست معهم في المرحلة الجامعية في شمالي نيجيريا - وهو مسيحي كان يقول: "إن المدارس التبشيرية وغيرها يأخذون الأطفال ويتجولون بهم في المدن، وعندما يمرون في الأماكن العامة التي يصادفون فيها أطفال الكتاتيب القرآنية "المُجَرِي"، يتوقفون ويقولون لهم: كل من سولت له نفسه أن يصبح مسلماً أو فكر في ذلك فإن يسوع سيعاقبه ليصبح مثل هؤلاء الأطفال"، في إشارة لأطفال الكتاتيب القرآنية (الخلاوي)، وذلك لفضاعة حالهم وشكلهم الذي تشمئز منه النفوس، مُرسخين بذلك في نفوس الأطفال المستهدفين بالتبشير صورة سيئة ومخيفة ومنفرة عن الإسلام والمسلمين يصعب محوها في المستقبل.

سعيًا وراء تصحيح هذه الصورة في المجتمع، ورفعًا للإساءة والإهمال عن كاهل أطفال الكتاتيب القرآنية "المُجَرِي"، أسهمت مجموعة من المنظمات والهيئات الحكومية والطوعية الخيرية في حل علاج ما ثبت من أنماط سوء معاملة وإهمال أطفال الكتاتيب القرآنية "المُجَرِي"، ولقد حاولنا التعريف بتجربتهم في العنصر التالي.

العنصر الثالث: إسهامات بعض تجارب المنظمات الحكومية والطوعية الخيرية في علاج أنماط سوء معاملة وإهمال أطفال الكتاتيب القرآنية التقليدية (الخلاوي):

هناك تجارب وإسهامات رائدة لمنظمات حكومية وطوعية خيرية هدفت في مجملها إلى رفع المعاناة المتمثلة في سوء معاملة أطفال الكتاتيب القرآنية (الخلاوي) وإهمالهم في ولايات شمالي نيجيريا، والعناية بتحقيق الهدف الحقيقي للخلوة والمتمثل في تعليم القرآن الكريم حفظاً وكتابة، ومبادئ الدين الحنيف من عقيدة وعبادات وأخلاق وتهذيب السلوك الفردي والجماعي، وإبعادها عن الآثام والرذائل والموبقات التي تسود المجتمع، ويمكن التمثيل على ذلك بتجارب الجهات التالية:

1. تجربة وكالة العالم الثالث للإغاثة: هي واحدة من المنظمات التي سجلت تجربة ناجحة في مجال العناية بأطفال الكتاتيب القرآنية "المُاجري"، والحد من سوء معاملتهم وإهمالهم، وكان ذلك في العام 1992م، واستهدفت التجربة 25 مهاجرًا، وهدفت بشكل أساسي إلى رفع مستوى المستهدفين المهني والثقافي والديني بصورة تراعي التوازن بين التكوين المعرفي والوجداني والمهاري، ومن أجل تنفيذ المشروع بصورة مثالية، وقد اعتمدت الوكالة الوسائل التالية في سعيها لتحقيق أهدافها:

- استئجار منزل للمستهدفين مكون من خمس غرف نوم وتجهيزه.
- تأمين ثلاث وجبات في اليوم الواحد للمستهدفين.
- توفير العناية الصحية من خلال توفير طبيب زائر.
- تجهيز ورش عمل مع الأدوات والمعدات اللازمة لتنفيذ برنامج التدريب المهني (التكوين المهاري)، وذلك في مجالات: (النجارة، اللحام، الأعمال الكهربائية، دهانات وديكور، السباكة)، وجدول التدريب المهني في الفترة الصباحية من يوم الاثنين إلى الجمعة (ابتداء من الساعة الثامنة صباحًا وحتى الساعة الثانية ظهراً).
- تأمين فصلين دراسيين يستخدمان في برنامج تنمية التكوين المعرفي والوجداني (اللغة العربية، التجويد، الفقه الإسلامي، الحديث وعلومه، التاريخ الإسلامي، الحساب، تعلم كتابة لغة هوسا باستخدام الحرف العربي عجمي)، (اللغة الإنجليزية)^{xii}.

وقد استمر المشروع لمدة عشرين شهرًا، واجتاز الدورة بنجاح من مجموع المستهدفين من المهاجرين 17 منهم، ومنحوا شهادة التدريب المهني من "وكالة التعليم الشامل" (AME)، وقد ترك هذا البرنامج آثارًا جيدة على المستهدفين، وساعد المستهدفين في التفاعل بإيجابية مع المجتمع، فمنهم من واصل تعليمه وتحصل على شهادة الدراسات الإسلامية العالية (HISC)، ومنهم من واصل دراسته في الجامعة الأردنية وتخصص في اللغة العربية وأصبح لاحقًا مستشارًا لحاكم الولاية في ولايته (ولاية بوتشي Bauchi) بشمال نيجيريا ويدعى محمد عيسى، في حين أن البعض الآخر مضى قدمًا في الاستفادة من التكوين المهاري في المجالات المهنية التي تعلمها في الدورة.

إلا أن هذه التجربة توقفت لعدم توفر الدعم المالي اللازم لاستمرارها، وعلى الرغم من أن أهداف الدورة واضحة من خلال برنامجها ووسائلها، إلا أنه كان ينبغي إكمال هذا الجهد الطيب بالبحث عن تمويل مالي لها، وتوفير المزيد من الرعاية النفسية والاجتماعية التي تهدف إلى علاج المستهدفين من الدورة، والتركيز على شيوخ الخلاوي (المعلمين) في مثل هذه الدورات ضروري، وذلك لرفع مستوى الوعي بضرورة محاربة أنماط سوء معاملة وإهمال أطفال الكتاتيب القرآنية/الخلاوي عند الشيوخ.

2. تجربة حكومة ولاية كنو بشمالي نيجيريا: بدأت هذه التجربة في ولاية كنو بشمالي

نيجيريا في أبريل نيسان عام 2003م، وتم معاودة الاهتمام بها في عام 2007م، وهي تهدف - كما مررنا على ذكره من قبل - إلى رفع المعاناة المتمثلة في سوء معاملة أطفال الكتاتيب القرآنية (الخلاوي) وإهمالهم، والعناية بتحقيق الهدف الحقيقي للخلوة والمتمثل في تعليم القرآن الكريم حفظاً وكتابةً، ومبادئ الدين الحنيف من عقيدة وعبادات وأخلاق وتهذيب السلوك الفردي والجماعي، وإبعادها عن الأثام والردائل والموبقات التي تسود المجتمع، وأسست حكومة الولاية لتحقيق هذا الهدف برنامج "ظَنَغِيَا" Tsangaya^{xiii} بإدارة مستقلة، ولقد اعتمدت هذه الإدارة في سعيها لتحقيق هذه الأهداف ما يلي:

- توفير التغذية والملابس اللائقة لأطفال الخلاوي.
- توفير فصول دراسية ومساكن لأطفال الخلاوي.
- تقديم الدعم لاكتساب المهارات اللازمة في التعليم المهني والفني لأطفال الخلاوي.
- توفير المواد والمعدات والآلات الزراعية لشيوخ الخلاوي.
- تقديم مكافأة شهرية لشيوخ الخلاوي.

وقد استطاعت هذه التجربة في الفترة محل الذكر (2003-2007م) تجميع أكثر من 562537 طفلاً من دارسي القرآن الكريم المشهورين بـ "أَلْمَاجِرِي"، وذلك في 3.219 كتاب (خلوة) يشرف عليها حوالي 1.200 شيخ (معلم)، على مستوى 44 حكومة محلية تابعة لولاية كنو (Ali, 2011, pp. 3-4)، كما مررنا إلى ذكره من قبل، وهذه التجربة على الرغم من أهميتها والجهد المقدر الذي بذل فيها من قبل حكومة الولاية والإدارة المختصة بها، إلا أنها بدأت تفقد الاهتمام في الوقت الحالي نتيجة ضعف توجهات الحكومات المتتالية على

الولاية تجاه هذا المشروع، والتجربة - في مجملها - بحاجة إلى المزيد من العناية والتطوير ومعالجة النواقص والسلبيات التي يمكن إجمالها فيما يلي:

- ضرورة العناية بوضع المشروع وفق استراتيجية وسياسة ثابتة لتوجهات الولاية، وذلك لضمان استمراره باعتباره يعالج قضية تمس مجتمع الولاية بصورة مباشرة، بحيث لا يمكن العدول عن هذه الاستراتيجية مهما تغيرت الحكومات في الولاية أو توجهاتها.
- ضرورة العناية في المشروع بجوانب الرعاية الصحية والنفسية للأطفال ومعالجتها.
- ضرورة العناية بتضمين المنهج الدراسي جوانب من مبادئ علوم العبادات والتوحيد وقواعد اللغة العربية.
- ضرورة دمج المشروع ضمن نظام تعليمي تربوي يضمن للطفل استمراره في مواصلة دراسته بعد حفظه للقرآن في كليات ومعاهد تتناسب مع قدراته العلمية.
- ضرورة استهداف الشيوخ (المعلمين) بتدريبهم ورفع مستواهم العلمي والثقافي بصورة يراعى فيها التوازن بين التكوين المعرفي والمهاري والوجداني، وتنبههم على التوقف عن ممارسة كل ما يمت بصلة لأي نمط من أنماط سوء معاملة وإهمال الأطفال، وضرورة التفريق بينهما وبين الوسائل المقبولة في دعم عملية التأديب والتربية عند الطفل.

3. تجربة مشروع بناء المدارس القرآنية بشمال نيجيريا: بدأت هذه التجربة بعد أن أصبح محمد نَمْدِي سَمْبُو والي ولاية كادونا الأسبق نائباً لرئيس الجمهورية، الذي استطاع أن ينقل التجربة من المستوى الولائي إلى مستوى الحكومة الاتحادية ويقنع رئيس نيجيريا الأسبق "غودلاك جوناثان" بتبني المشروع وتنفيذه، الذي انطلق مع بداية العام 2009م. والمشروع يهدف بالأساس إلى توفير هيئة بيئة تعليمية مناسبة لطلاب الكتاتيب القرآنية/الخلاوي (المُتَجَرِّب) والمدارس الإسلامية، تُسهم بتحقيق الأهداف التعليمية لهذا النوع من التعليم وتهيئة البيئة التعليمية المناسبة، وذلك عن طريق توفير مجموعة من العناصر الهامة، منها: اختيار الموقع المناسب للكُتّاب، ومساحة البيئة التعليمية الخاصة به، ومكونات بنيته التحتية، وتوفير الأدوات الصفية اللازمة، والمعدات والأجهزة التعليمية الحديثة، والكادر التعليمي، والمنهاج

الدراسي المعتمد من قبل الجهات التربوية والتعليمية المعتمدة، وقد تمّ تصنيف هذه المدارس إلى ثلاثة نماذج، وذلك على النحو التالي (مهوذا، 2021):

- النموذج الأول: ويحتوي على 101 مدرسة، في كل منها فصلان للدراسة ومبنى للإدارة يضم مكتب ومخزن ومراحيض، بالإضافة إلى الداحليات.
- النموذج الثاني: ويحتوي على 36 مدرسة مبنية من قبل مؤسسة Trust Fund وتشتمل كل مدرسة منها على ستة فصول ومبنى للإدارة مكون من خمسة مكاتب، ومكتبة، ومراحيض، وقاعة للحاسوب، ومعلمين، بالإضافة إلى قاعتين.
- النموذج الثالث: ويتكون من 138 مدرسة تم إنشائها بالتعاون مع مؤسسات داخلية وخارجية، وهي تختص بالمدارس الإسلامية دون الكتاتيب القرآنية (الخلاوي). وقد رصد هذه المدارس عبدالصمد أمو (Amoo, 2018) مع ذكر أسماءها ومواقعها وأعدادها وتوزيعها بحسب الولايات النيجيرية (28 ولاية)، وقد كان لنصيب ولايات شمالي نيجيريا من هذه المدارس الجزء الأكبر، وذلك كما هو موضح في الجدول رقم (1).

جدول رقم (1)

يوضح أسماء المدارس ومواقعها وأعدادها في الولايات النيجيرية

الرقم	الولاية	عدد المدارس في الولاية	الإقليم
1	Adamawa	8	ولاية شمالية
2	Bauchi	9	""
3	Barno	9	""
4	Yobe	6	""
5	Gwambe	5	""
6	Jigawa	7	""
7	Kaduna	11	""
8	Kano	12	""
9	Katsina	10	""
0	Kebi	6	""
1	Sokoto	10	""
2	Zamfara	12	""

3	Nasarawa	6	""
4	Niger	8	""
5	Kogi	5	""
6	Biniwe	1	""
7	Kwara	7	""
8	Taraba	3	""
9	Jos	1	""
0	Abuja	2	العاصمة
1	Lagos	1	ولاية في الجنوب الغربي
2	Ogun	3	""
3	Ondo	2	""
4	Ekiti	1	""
5	Osun	4	""
6	Oyo	5	""
7	Revers	1	ولاية في الجنوب الشرقي
8	Edo	2	ولاية في الجنوب الغربي
	المجموع الكلي	157	

وهدفت هذه المدارس إلى تقديم نماذج لحل مشكلة الكتابات القرآنية (الخلاوي)، وتقديمها في ثوب من الحداثة تحل معه مظاهر سوء معاملة أطفال الكتابات القرآنية (الخلاوي) وإهمالهم، ولكن للأسف الشديد أن هذه التجربة معطلة في وقتنا الحاضر، "فضلا من أن تُجرى فيها الدراسة، وليس هناك نظام تعليمي وتربوي معتمد تُسَيَّر به هذه المدارس، ولم تُقدر خبرات المنتمين إليها والقائمين على إدارتها، وحتى اختيار الطلاب تَمَّ عشوائيا، وغاية القول: أن الحكومة تدير هذه المدارس بعيدة عن بيئات أنظمة الكتابات القرآنية (الخلاوي) جملة وتفصيلاً" (يهودا، 2021)، الأمر الذي أدى إلى خروج كثير من هذه المدارس من الخدمة وذلك بدمار وسرقة محتوياتها بخاصة تلك التي تقع في مناطق بعيدة ومعزولة عن كبريات المدن في الولايات، ومع هذا كله، فقد قدمت بعض الحكومات على مستوى الولايات بعض الإنجازات المقدرة التي ما تزال قائمة، منها ولايات: كنو وبرنو ويوبي وكدونا.

وفيه من التجارب الثلاثة، إن محاولتهم كانت في سبيل رفع معاناة سوء معاملة الأطفال وإهمالهم، وقد ركزت جميعها على تطوير نظام الكتابات القرآنية التقليدية (الخلاوي) بصورة تضمن تحقيق الهدف الأساسي للكتاب (الخلوة)، وهو حفظ كتاب الله عز وجل، ورفع مستوى المستهدفين الثقافي والديني (تفسير، توحيد، عبادات...)، والمهني/الفني (نجارة، لحام، أعمال كهربائية...)، والعلوم المختلفة (حساب، جغرافية، رياضة...)، وذلك بصورة تراعي التوازن بين التكوين المعرفي والوجداني والمهاري، ليتمكن طفل الكتاب/الخلوة من مواصلة تعليمه بصورة أفضل تساعده على الاندماج في المجتمع، ويتحقق مع ذلك رغبة الأسرة في أن يحفظ ابنها القرآن الكريم من جهة، وتحقيق متطلبات الحياة الكامنة في التعليم العصري التي يطالب بها المجتمع لحاجته إليها من جهة أخرى، خاصة إذا ما علمنا أن المرأة في مجتمع شمالي نيجيريا - في الغالب - لا يسمح لها إلا بارتداء هذا النوع من التعليم.

والأمر برمته يطرح قضية التجديد في بيئة الكتابات القرآنية (الخلاوي)، والاهتمام بتطوير أهداف أنشطتها التربوية والتعليمية مدارس وممارسة، والتجديد سنة من سنن الله في الكون وخلقها، وهو أمر ضروري لتقدم الأمم وتطورها، ولا يعني ذلك بأي حال من الأحوال المساس بمبادئ وقيم هذا النظام التعليمي وثوابته القائم عليها، وإنما المقصود به التجديد في إدراك وفهم الناس لمفهومه ومقاصده بما يوافق متطلبات العصر، ويكون ذلك بتلافي السلبيات وسلوك المنهج التربوي السوي القويم، ومواكبة تطوير الوسائل التعليمية، وفوق كل هذا وذلك العناية بالقلب وإصلاحه كأساس للتجديد في التربية (التزكية) لكونه في حقيقته عين "الروح والعقل والنفس"، ولكون التربية (التزكية) من أهم الوظائف التي أُمِرَ النبي عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام بتبليغها، حيث بعثه الشارع الحكيم سبحانه وتعالى رسولا مبلغا ومعلما ومزكيا ومرتبيا، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة: 2)، مع ضرورة إعادة تقييم تجربة تطوير التعليم في المدارس الإسلامية الموازي لبيئة الكتابات القرآنية (الخلاوي) المنتشر بالمنطقة وإصلاحه ليفتح منافذ تعليمية (أكاديمية ومهنية) متقدمة لأطفال الكتابات القرآنية (الخلاوي)، تسهم في تأهيلهم وبالتالي في عملية اندماجهم في المجتمع بصورة توفر لهم سبل العيش

الكريم والطبعي من مأكّل ومسكن ورعاية صحية وتكوين أسرة، ويسهموا بذلك في تزكية الناس وتعليمهم كتاب الله الكريم حفظاً وتلاوة؛ وفهمًا وتطبيقًا.

والجدير بالذكر أن هناك الكثير من المنظمات الإسلامية الخيرية الطوعية (مثال: الهيئة الخيرية العالمية الكويتية، وقطر الخيرية، وبيت الزكاة الكويتي، ولجنة مسلمي إفريقيا "منظمة العون المباشر حاليًا"، ومنظمة الدعوة الإسلامية ...)، يعتنون في برامجهم بهذه الفئة من أطفال الكتاتيب القرآنية (الخلاوي)، وذلك من خلال تقديم المساعدات المتمثلة في توفير الملابس وإفطار رمضان وأضحية العيد، وبناء الفصول الدراسية وتقديم الدعم والمساعدة المالية لمشايخ الكتاتيب القرآنية (الخلاوي) ...، وغير ذلك من المساعدات التي تقدم في إطار خلق بيئة صالحة تُسهم في رفع معاناة سوء المعاملة والإهمال عن كاهل أطفال الكتاتيب القرآنية (الخلاوي).

ومن خلال ما سبق في هذه الدراسة من قراءة في بعض أنماط سوء معاملة أطفال الكتاتيب القرآنية (الخلاوي)، وعرض لبعض التجارب التي عملت على علاج هذه الأنماط في شمالي نيجيريا، يمكننا أن نستخلص مجموعة التوصيات المدعومة بمجموعة من الملاحق المصورة، راجين أن تساعد وتسهم في دعم ومساندة حل المشكلة لدى الجهات المختصة، وهذا ما حاولنا تناوله في العنصر التالي.

العنصر الرابع: خاتمة الدراسة (التوصيات والملاحق).

هدفت هذه الدراسة، بعنوان: "سوء معاملة وإهمال أطفال الكتاتيب القرآنية التقليدية (الخلاوي) بشمالي نيجيريا وأثرهما على الطفل والمجتمع"، إلى ضبط مفهوم سوء معاملة الأطفال وإهمالهم ومعرفة أسبابهما وأهم التصنيفات البارزة في بيئة الكتاتيب القرآنية التقليدية (الخلاوي) بشمالي نيجيريا، فتّم في مدخلها التعريف بالكتاتيب القرآنية التقليدية (الخلاوي)، تلا ذلك تحديد ودراسة إبراز مظاهر أنماط سوء معاملة الأطفال بهذه البيئة التعليمية والتربوية وإهمالهم، ورصدت الورقة بعض آثار ذلك على واقع الطفل والمجتمع، مع تقديم سردًا بأبرز إسهامات بعض تجارب المؤسسات الحكومية والمنظمات الخيرية في علاج هذه الظاهرة، وختمت الدراسة بخاتمة جاءت فيها مجموعة من الملاحق والتوصيات.

وخلصت الدراسة إلى أن الجميع يريد لنظام الكتاب/الخلوة أن يبقى ويستمر وويتجدد ويتطور في إطار مهمته الأساسية القائمة على تعليم القرآن الكريم حفظاً وكتابة، وتعليم مبادئ الدين الحنيف من عقيدة وعبادات وأخلاق وتهذيب السلوك الفردي والجماعي والاستفادة منه في رفع مستوى التعليم في أوساط المرأة خاصة أن مجتمع شمالي نيجيريا - الذي في معظمه - لا يسمح للمرأة إلا بارتداء هذا النوع من التعليم، ولا يتأتى هذا الهدف إلا برفع المعاناة المتمثلة في سوء المعاملة والإهمال الواقع على أطفال الكتاتيب القرآنية (الخلاوي)، ورعاية أطفال الخلاوي والعناية بهم، وتطوير نظامها ومنهجها التعليمي والتربوي دون الإخلال بأهدافها، حيث يعتبر الركون لمثل هذه الأمور وعدم معالجتها، واحداً من أهم الأسباب التي أدت إلى تخلف الخلوة عن الركب ونفّرت عنها الطفل والمجتمع وجعلتها عرضة لانتقادات أعدائها، إذ أن التجديد أمر ضروري لتقدم الأمم وتطورها، وهذا لا يعني - بأي حال من الأحوال - المساس بمبادئ وقيم الكتاتيب القرآنية (الخلاوي) وثوابتها، بل يعني تلافي السلبيات وتطوير الإيجابيات المرتبطة بأسس المنهج التعليمي التربوي السوي القويم، وإعادة تقييم تجربة تطوير التعليم الإسلامي الموازي لبيئة الكتاتيب القرآنية (الخلاوي) المنتشر بالمنطقة، بصورة يكون فيها مواكباً للتطور الحاصل في تقنية ودراسات المعلومات وتأثيرها على العملية التربوية والتعليمية في عالمنا اليوم. ويمكن أن يتم تحقيق بقاء واستمرار وتطور الكتاتيب القرآنية (الخلاوي) بأخذ ما يلي من توصيات في الاعتبار ووضعها موضع التنفيذ، وهي على النحو التالي:

1. ضرورة محاولة القضاء أو على الأقل التقليل من ظاهرة سوء معاملة وإهمال أطفال الكتاتيب القرآنية التقليدية (الخلاوي) بمختلف صورها، ورفع الوعي بمفهوم مظاهر الإهمال وسوء المعاملة لدى أولياء أمور الأطفال وشيوخ الخلاوي والمجتمع، الذين لا يزال بعضهم يعتقدون أن ما يحدث من أنماط الإهمال وسوء معاملة أطفال الكتاتيب القرآنية (الخلاوي) ما هو إلا ضرورة ووسيلة تقتضيها الضرورة من أجل تربية الطفل وتأديبه وتدريبه على تحمل الصعاب.
2. ضرورة اعتماد استراتيجية وسياسة ثابتة من قبل المنظمات والهيئات الخيرية الإسلامية تجاه الاهتمام برفع أنماط سوء المعاملة والإهمال الواقعتين على أطفال الكتاتيب القرآنية (الخلاوي) بكل أنماطهما الجسدية والصحية والجنسية والانفعالية

- ... والتوقف عن تقديم الحلول المؤقتة والموسمية التي لا تسهم سوى في تخدير المشكلة لا حلها من أصولها، وذلك من خلال تقديم أرقى أنواع الحماية والضمانات المقننة والموثقة لبيئة الكتاتيب القرآنية (الخلاوي).
3. ضرورة تطوير النظام التربوي للخلوة بصورة تراعي التوازن بين التكوين المعرفي والوجداني والمهاري، وذلك ليتمكن الطفل من مواصلة تعليمه بطريقة أفضل تساعد على الاندماج في المجتمع، ويتحقق مع ذلك رغبة الأسرة في أن يحفظ ابنها القرآن الكريم من جهة، وتحقيق متطلبات الحياة الكامنة في مناهج التعليم العصري التي يطالب بها المجتمع لحاجته إليها.
4. ضرورة إصلاح بيئة الكتاتيب القرآنية (الخلوة) وتهيئة الظروف المحيطة بالأطفال حتى يتمكنوا من استيعاب المعارف والخبرات وتكوين الاتجاهات السليمة والسلوك القويم، وهذا يشمل تدريب الشيخ (المعلم) وإعداده، وتطوير المنهج المناسب، وتوفير السكن والإعاشة ووسائل التعليم وتنوعيه، وتنمية تحفيز دافع التعليم عند الأطفال في الكتاتيب القرآنية (الخلاوي)، وتدريبهم على واجباتهم تجاه مجتمعاتهم والإيمان بنكران الذات، بوصفهم حملة كتاب الله عز وجل ودعاة الغد.
5. ضرورة تضمين النصوص الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة التي تحت على الرحمة وعمل الخير وتعليم الأطفال وتربيتهم والعناية بهم في المناهج والمقررات الدراسية ونشر الوعي بمضامينها ومدلولاتها وفهمها وتطبيقها التطبيق الصحيح في سكنات وحركات أخلاقيات وسلوكيات الفرد والجماعة في مجتمعاتنا الإسلامية، كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس: "يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك..."، ومنها: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُقْبَلُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، فَقَالَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ: إِنَّ لِي عَشْرَةً مِنَ الْوَلَدِ، مَا قَبِلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ لَا يَرْحَمُ، لَا يُرَحَمُ"، (البخاري، 5997)، وحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَتَنَا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كِبِيرَتَنَا؛ فَلَيْسَ مِنَّا" (أبو-داؤود، 2014، حديث رقم: 4943).
- وأحاديثه صلى الله عليه وسلم الداعية لعمل الخير والموضحة لأهمية كفالة طالب العلم واليتيم كما في قوله: "إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ

أو نَهَرًا أَجْرَاهُ أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ" (ابن- ماجه، 1952، حديث رقم: 200)، وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث صفوان بن سليم: "السَّاعِي عَلَى الْأُزْمَلَةِ وَالْمُسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ كَالَّذِي يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ" (البخاري، 6006)، وغير ذلك من النصوص التي تدعو إلى التكافل والتراحم وعمل الخير الذي ينفع المؤمن يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وينفعه في حياته كما في رواية أبي هريرة رضي الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَذَكَّرُونَ بِهَذَا بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيََتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَقَّقَتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ" (مسلم، 1991، حديث رقم: 2699).

6. ضرورة إنشاء مركز لدراسات وبحوث تطوير الكتابات القرآنية (الخلاوي) في بعض جامعات المنطقة، لتقوم بتقديم دراسات في أنماط سوء معاملة وإهمال أطفال الخلاوي ومدى تأثيرهما على الطفل والمجتمع وطرح سبل علاجهما، وتهتم بتقديم دراسات وبحوث علمية إحصائية دقيقة في مجالات مختلفة مكونة لبيئة الكتابات القرآنية التقليدية (الخلاوي)، منها: (التربوية والتعليمية والثقافية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية ...)، وذلك من خلال دراسة إمكانات الخلاوي وطبيعة طلابها ومشايخها واحتياجاتهم، والعمليات النفسية والعقلية لطفل الكتاب/الخلوة وأثارها السلبية والإيجابية في حفظ القرآن الكريم، والعلاقات الاجتماعية بين حفظة القرآن الكريم في مجتمع الكتاب/الخلوة، والأساليب التربوية التي يمكن الاستعانة بها في تطوير برامج ومناهج الكتاب/الخلوة، وأثر الكتاب/الخلوة في نشر لغة القرآن الكريم خاصة في مناطق التداخل اللغوي (ولاية برنو بشمالي نيجيريا) ... وغير ذلك من البحوث والدراسات التي ستساعد في إعادة توظيف الكتاب/الخلوة لتقوم بمهامها الرئيسية التي أسست من أجلها.

والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى الصراط المستقيم.

ملاحق البحث



ملحق رقم (1): أطفال الكتاتيب القرآنية (الْمَاجِرِي) في موقع "نار القرآن" (التقاية) يتوسطهم شيخهم
(ويمكن تحديد الفئات العمرية الغالبة للأطفال في الخلاوي من خلال هذه الصورة)



ملحق رقم (2): بعض أطفال الكتاتيب القرآنية (الْمَاجِرِي) وهم يساعدون بائعة طعام في أحد الأسواق



ملحق رقم (3): صورة لبعض أطفال الكتاتيب القرآنية (الْمَاجِرِي) وهم يتسولون الطعام



ملحق رقم (4): طفل من أطفال الكتاتيب القرآنية (الْمَاجِرِي) يسعى إلى تسول الطعام في أحد المنازل وهو حافي القدمين



ملحق رقم (5): صورة لطفل من أطفال الكتاتيب القرآنية (الْمَاجِرِي) مقيد بالسلاسل الحديدية

قائمة المراجع:

1. إبراهيم طرخان. (1970). *إمبراطورية غانة الإسلامية*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.
2. أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري مسلم. (1991). *المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم*. (محمد فؤاد عبد الباقي، المحرر) بيروت: دار إحياء التراث العربي.
3. أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري. (2000). *صحيح البخاري*. بيروت: دار الفكر.
4. أبوبكر آدمو رابع. (02 ديسمبر، 2012). بعض مظاهر سوء معاملة أطفال الكتاتيب القرآنية في أشهر الكتاتيب القرآنية بكنو. (محمد ناصر داؤد صالح جودات، المحاور)
5. أحمد الأمين الشنقيطي. (1958). *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط* (الإصدار 2). (فؤاد سيد، المحرر) القاهرة: مطبعة السنة المحمدية.
6. أحمد محمد قزازه. (2008). *علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة)* (الإصدار 1). الرياض: دار النشر الدولي.
7. الأرشييف. (1994-1992). *مشروع تأهيل المأجري*. كنو - نيجيريا: وكالة العالم الثالث للإغاثة.
8. *الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفولاني* 2013 القاهرة دار الكتاب المصري
9. *الإعداد لإمام مسجد وشيخ خلوة بالقضارف اغتصب ثلاثة من تلاميذه*
10. الحسن سالو، و أيوب لوالي. (04 يناير، 2013). *المجلة الثقافية الجزائرية*. تاريخ الاسترداد 17 مارس، 2022، من المدارس القرآنية في النيجر وظاهرة التسول:

<https://thakafamag.com/?p=3197>

11. تقرير منظمة الشفافية الدولية الإنتلاف العالمي ضد الفساد 2021
12. سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير السجستاني أبو-داؤود. (2014). سنن أبي داؤود. القاهرة: مكتبة الصفا للنشر والتوزيع.
13. سوسن شاكر الجلي. (8 مارس، 2012). آثار العنف وإساءة معاملة الأطفال على الشخصية المستقبلية (دراسة في زمن الحصار الاقتصادي والحروب على العراق). تاريخ الاسترداد 2022 مايو، 17، من الحوار المتمـدن: <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=298223>
14. سوسن شاكر الجلي. (2012 مارس، 8). آثار العنف وإساءة معاملة الأطفال على الشخصية المستقبلية (دراسة في زمن الحصار الاقتصادي والحروب على العراق). تاريخ الاسترداد 2022 مايو، 17، من الحوار المتمـدن: <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=298223>
15. شيخو أحمد سعيد غلادني. (1993). حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا (الإصدار 2). الرياض: شركة العبيكان للطباعة والنشر.
16. عبدالرحمن السعدي. (1981). تاريخ السودان. (هوادس وبنوه، المحرر) باريس: هوادس وبنوه.
17. عبدالرحمن محمد ميغا. (2005). الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي من القرن الثامن إلى القرن الثالث عشر الهجري. دار الحديث الحسنية للدراسات الإسلامية العليا، رسالة دكتوراه. الرباط، المملكة المغربية.
18. علم نفس النمو/الطفولة والمراهقة 2008/الرياضدار النشر الدولي
19. علي أبوبكر. (1972). الثقافة العربية في نيجيريا من 1950-1960 عام الاستقلال (الإصدار 1). بيروت: مؤسسة عبدالحفيظ البساط.

20. كيفية تعليم القرآن في ولاية برنو وتطوراته من 1964-1903م بحث تخرج لنيل درجة الإجازة العالية سايلانيجر الجامعة الإسلامية بالنيجر
21. مجلة قراءات إفريقية 2021
22. محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن-منظور. (1968). لسان العرب (المجلد 5). بيروت: دار صادر.
23. محمد بن يزيد القزويني ابن-ماجه. (1952). سنن ابن ماجه. (محمد فؤاد عبد الباقي، المترجمون) القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.
24. محمد صالح أيوب. (2001). الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبدالحق الترجمي في دار وادي في تشاد (1853-1917م). الخرطوم: منشورات جمعية الدعوة الإسلامية.
25. محمد محمد ميلاد. (2015). علم نمو الطفل المعرفي. عمان: دار الاعصار العلمي للنشر والتوزيع.
26. محمدناصر داؤد صالح جودات. (2015). ضوابط الكتابة وأدواتها في مصادر المعلومات من المخطوطات المكتوبة بالحرف القرآني "عجمي" (المخطوط المكتوب بلغة هوسا نموذجًا). المخطوطات العربية بغرب إفريقيا صيانتها ونشرها ، 529-564.
27. معجم-المعاني-الجامع 2022/للعاني لكل رسم معنى (عربي)
28. يوسف الخليف أبوبكر. (2010). مقالات في القرآن الكريم والخلوة والقراءات. الخرطوم: دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة.
29. يوسف الخليفة أبوبكر. (17, 07, 2017). وسائل العيش في بيئة الخلاوي القرآنية. (محمدناصر داؤد صالح جودات، المحاور)

30. يوسف عيسى عبدالله، و محمدناصر داؤد صالح جودات. (ديسمبر، 2019). ضوابط الكتابة وأدواتها في مصادر المعلومات من المخطوطات المكتوبة بالحرف القرآني. مجلة دراسات إفريقية ، 62 ، الصفحات 25-84.

31. Ali, M. J. (2011). Qur'anic Schools Students in Kano State: Enhancement and Incorporation into Formal Vocational Education Syatem. Kano, Nigeria.
32. Amoo, A. (2018, November 1st). *List of Tsangaya (Almajiri) model schools built under Jonathan across Nigeria*. Retrieved May 2022, 2022, from EDUCELEB: <https://educelab.com/list-of-tsangaya-almajiri-model-schools-across-nigeria/>
33. Barth, H. (2010). *Travels and discoveries in North and Central Africa 1857-1858* (Vol. iv). New York, London: Appleton & Co.; Longman, Brown, Green, Longmans, & Roberts.

حواشي النص

ⁱ أصل الكلمة "مسجد" تصغير كلمة مسجد، ويسمى على النحو نفسه "مسيد" في أواسط السودان، وحذفت الدال أو الجيم بحكم اللهجات المحلية لكراهية تصغير كلمة "مسجد" الذي ينهى عنه شرعاً، وهو مصلى للصلوات الخمس دون صلاة الجمعة. وهذه التسميات مشهورة في السودان وتشاد والنيجر ونيجيريا والكميرون وإفريقيا الوسطى

ⁱⁱ الزاوية في الغالب تنتمي إلى طريقة صوفية معينة، وينتشر فيها العلم ويندر عند أهلها والمقيمين فيها الجهل، ويهاجر إليها المريدون من اتباع الطريقة وغيرهم، بهدف حفظ القرآن الكريم وتجويده ودراسة علومه

ⁱⁱⁱ يستخرج السناج في دول الإقليم من أشجار مختلفة، ولكن أجوده هو المستخرج من شجرة "التمر المصري" أو "تمر الصحراء"، وهي عند قبيلة الهوسا. التي تمثل غالبية سكان شمالي نيجيريا. تعرف بـ "أدّوا"، وتسمى هذه الشجرة في الداريجة السودانية والتشادية بـ "العلوب" أو "الهجليج"، وهنالك خبر يميل إلى اللون الأزرق وله بريق خاص يستخرج من شجرة تعرف عند قبائل السوننكي بـ "خَمْبَا"، وهي شجرة التبليدي المعروفة، وعند إعداده تنظم له قبائل السوننكي احتفالات ومراسم ابتهاج خاصة بتصنيعه، وينسخ بهذه المناسبة كامل القرآن الكريم.

^{iv} وهذه عادة واقعية، ولكنها تفتقر إلى نص شرعي تعتمد عليه، لأن الأصل في العبادات الحظر حتى يرد نص بالشرعية، ولكن بعض العلماء المعاصرين يرى أنه لا بأس بشرب محايثها إذا كتبت بماء الورد.

^v هو المصطلح الذي يعرف به أطفال الكتاتيب القرآنية (الخلاوي) في شمالي نيجيريا والنيجر، وهي كلمة مقترضة من الكلمة العربية (المهاجر)، وتستند إلى مفهوم الهجرة طلباً للعلم، وذلك نظراً إلى أن أغلب الخلاوي متنقلة، مهاجرون حسب مواسم السنة، فالكُتاب (الخلوة) تكون في القرية أو البادية في موسم الخريف، بينما يجاور بها الشيخ البلدة أو المدينة في موسم الصيف، وقد تنتقل الخلوة في الموسم الواحد إلى أكثر من مكان سعياً وراء توفير الجو المناسب لحفظ القرآن الكريم وتلاوته، والطفل الذي يرتاد هذا النوع من الخلاوي يتم تهجيده وفصله عن أسرته تماماً برضائهم واختيارهم لينقل إلى بيئة الخلوة، ويسلم إلى الشيخ قاطعين عهداً عليه بأن طفلهم سوف يحفظ القرآن الكريم، قائلين له:

"لك اللحم ولنا العظم"، فللشيخ بهذا المفهوم كامل المسؤولية والتصرف، وعلى الطفل الامتثال والطاعة.

^{vi} يتم جلب الحطب من أجل إيقاد "نار القرآن" التي تنار بها ساحة مذاكرة القرآن في الليل، وتسمى "التقابة" في الدراجة السودانية، كما أن هذا الحطب يستخدم لأغراض أخرى منها الطبخ والتدفئة في الشتاء.

^{vii} ذكر بعض الأساتذة والطلاب في الجامعة الإسلامية بالنيجر ممن ارتادوا هذا النوع من التعليم، أنه في السابق قد يكون سبب الربط أو التهديد به، إذا امتنع الطفل من لعب كرة القدم.

^{viii} وقد يمتد كان الشيخ في هذا النوع من الخلوي يبعث بشخص يسمى "الساعي"، ليتجول في القرى والبوادي سعياً لجمع المونة والغلال من أهالي الأطفال الذين يدرسون معه أو ممن يرغب في التصديق عليه، وهناك محسنون ميسورون كثير يتصدقون بإطعام الأطفال في هذه الخلوي، منهم على سبيل المثال: الحاجة مريم سنوسي دنتاتا أو الحاج علي دن غوتي ... وغيرهم من أثرياء المجتمع المعاصرين في شمالي نيجيريا.

^{ix} يستعمل الأطفال في فك القيد بعض الحيل منها: أن الطفل يتبول على الأصفاة الحديدية ويضع نسبة من ملح الطعام عليها، ويحرك مفتاح القيد بمسمار ليتمكن من فكها ويهرب، ويكون ذلك بشكل تدريجي قد يستمر إلى أسبوع أو أكثر على حسب قوة القيد. ومن الحيل أيضاً - إذا كان الطفل المربوط على علاقة مع مجموعة إجرامية - فإن رفاقه يزورونه ويمدونه بحبوب مخدرة أو منومة فيشرها ليغشى عليه، فيظن الشيخ (المعلم) أنه قد أصيب بمرض، فيذهب به إلى المستشفى، ليأتي إليه أقرانه ويساعدوه على الهرب ... وقد حاول كاتب هذه السطور تضمين ملاحق البحث صوراً لهؤلاء الأطفال المقيدين إلا أنه لم ينجح في ذلك لأسباب منها: خوف شيوخ الخلوي من انتمائه لمنظمات حقوقية، أو من انتمائه للصحافة، أو لأن الأطفال المقيدين فيهم من ينتمي إلى أسر رفيعة المستوى في المجتمع (أبناء الأثرياء والسلطين والأمراء التقليديين والقادة السياسيين المرموقين ...).

^x الطالب أبوبكر آدمو رابع (رابع، 2012) حفيد لكلتا الخلوتين المذكورتين، حيث ينحدر من جهة أبيه من مؤسس الخلوة الأولى ومن جهة أمه من مؤسس الخلوة الثانية، وقد نشأ وترعرع ودرس في الخلوة الأولى (خلوة مالم سعيدو بحارة شروماوا بكنو). وقد وافقه فيما

سرده من أنماط سوء المعاملة والإهمال غالبية من الطلاب بالجامعة الإسلامية بالنيجر، وكاتب هذه السطور شاهد الخلوتين وبعض الخلاوي الأخرى كخلوة منزو أزري بحارة قوقي يكنو ... وغيرها من الخلاوي التي تعمل بهذا النظام بمدن مختلفة في شمالي نيجيريا، منها: مدينة ميدغوري (ولاية برنو)، وقسو (ولاية زمفرا)، وسكوتو (ولاية سكوتو)، وقشوا وانغرو (ولاية يوبي) ...

^{xi} لا زال للأسواق - إلى يوم الناس هذا - وفي كثير من قرى ومدن أنحاء شمالي نيجيريا يوم مخصص في الأسبوع، فيقال سوق الثلاثاء وسوق الخميس ... وهكذا.

^{xii} عمل كاتب هذه السطور في وكالة العالم الثالث للإغاثة في الفترة من 2002-2007م، كمنسق لقسم المعلومات والوثائق، وقد اطلع على هذه التجربة عن كثب من خلال أرشيف الوثائق الخاصة بمشروع تأهيل "الْمَاجِرِي"، المتوفرة بها في وكالة العالم الثالث للإغاثة يكنو.. في الفترة من (2002-2007م)، (الأرشيف، 1992-1994).

^{xiii} "طَنْغَيَا": (Tsangayas) بلغة هوسا تعني: كُتاب أو خلوة، وقد مررنا على ذكر ذلك من قبل.